التنبيهات المختصرة

شرح

الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة

جمع الفقير إلى الله تعالى

إبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين والمسلمات

بمراجعة وتقديم

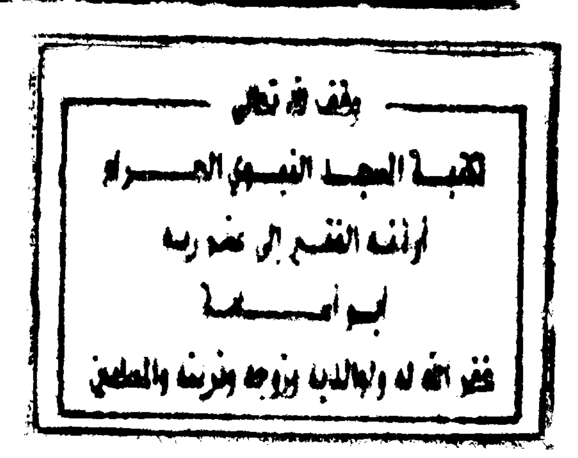
فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي

أثابه الله تعالى

دار الصميعي

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



التَّنْبِيهَاتُ المُخْتَصَرَة

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الصميعي للنشر والتوزيع
هاتف وفاكس: ٤٢٦٢٩٤٥
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية

تقديم

الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد؛ فإنه لا صلاح للعباد، ولا فلاح، ولا نجاح، ولا حياة طيبة، ولا سعادة في الدارين، ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ إلَّا بمعرفة أول مفروض عليهم، والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عزَّ وجلَّ له، وأخذ عليهم الميثاق به، وبه حقَّت الحاقَّة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تُنصب الموازين، وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ومَنْ لم يجعل الله له نوراً؛ فما له مِنْ نور، وذلك الأمر هو معرفة الله عزَّ وجلَّ بإلٰهيَّته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه، من الشرك الأكبر والأصغر، والكفر الأكبر والأصغر، والنفاق الاعتقادي والعملي، ومعرفة الطاغوت والكفر به والإيمان بالله تعالى.

وقد كان الناس من أهل نجد وغيرهم قبل دعوة الإمام المجدد شيخ

الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى في جهل بهٰذا الركن الأعظم والأساس الأكبر، وأصل الأصول ورأس العلوم؛ أعني: علم توحيد الألوهيَّة.

وقد تفاقم هٰذا الخطب وعظم، وتلاطم موج الكفر والشرك في هٰذه الأمة وجسم، وطمست الآثار السلفية، وأقيمت البدع الرفضية والأمور الشركية.

إلى أن أراد الله تعالى إزالة تلك الظلمات، وكشف البدع والضلالات، ونفي الشبهات والجهالات، وتصديق بشارة رسول رب الأرض والسماوات في قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهٰذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها دينها»[1]، على يدي من أقامه هٰذا المقام، ومنحه جزيل الفضل والإنعام؛ أعني به الشيخ الإمام، خلف السلف الكرام، المتبع لهدي سيد الأنام، المنافح عن دين الله في كل مقام، شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب، وضاعف له الثواب.

فدعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً، وقام بأمر الله في الدعوة إليه وما حابى أحداً فيه ولا دارى، فعظم على الأكثرين وأنفوا استكباراً، ولم يثنه ذلك عن أمر الله حتى قيَّض الله له أعواناً وأنصارا، فرفعوا ألويته وأعلامه حتى انتشرت في الخافقين انتشارا.

وصنف رحمه الله تعالى التصانيف في توحيد الأنبياء والمرسلين، والردِّ على من خالفه من المشركين، ومن جملتها: «كتاب التوحيد»، وهو فرد في معناه؛ لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق، ومن ذٰلك: «الأصول الثلاثة» و«كشف الشبهات»... وغير ذٰلك من المصنفات النافعة.

ولأهمية التوحيد وعظم شأنه؛ طلب مني بعض إخواني في الله تعالى أن

---

(١) رواه أبو داود، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناده صحيح.

أجمع متناً مختصراً فيما يجب أن يعتقد، وبه يعمل، ومنه يتعلم، يسهل على الطالب المبتدي حفظه، ولا يستغني الراغب المنتهي عن فهمه، فيسر لي ربي تبارك وتعالى ذٰلك، ووفق سبحانه وألهم أن جمعت من تقرير هٰذا الإمام وأحفاده وفيه عن غيرهم؛ فلله الحمد على ذٰلك وغيره من المنن لا أحصي ثناء عليه، وأسميته: «الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة».

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الحياة وبعد الممات، وكل من قرأه أو سمعه أو نظر فيه؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

ولما كثر في الطلَّاب حفظه، وتعدد في الآفاق والأقطار نشره؛ عرض عليَّ أحد من كان يحفظه من طلَّاب العلم ـ وهو الأخ إبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصي ـ أن يضع لهٰذا المتن شرحاً مختصراً؛ يساعد الطالب على فهمه، والراغب على العمل به وتعليمه، فأيَّدته على ما همَّ له وأراد، ورغَّبته في ذٰلك، وعلى الله تحقيق المراد، فكتب في ذٰلك هٰذه الرسالة المباركة، التي سمَّاها: «التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة».

وقد اطلعت عليها، فألفيتها رسالة قيِّمة، غزيرة الفائدة، قد اشتملت على إيضاح الحق بدليله، وكشف الشبه، وإيضاح كثير من الحكم، أسأل الله تعالى أن ينفع بها.

وإنِّي أنصح كل من وقعت في يده هٰذه الرسالة أن يقرأها من أولها إلى آخرها، وأن يتدبر ما فيها من كلام الله عزَّ وجلَّ وأحاديث رسوله ﷺ وأقوال العلماء المحققين، لعله بذٰلك يتضح له الحق، ويطمئن قلبه إلى ما دلَّت عليه النصوص؛ من تقرير هٰذا التوحيد الذي هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول (لا إلٰه إلا الله)، ولعله أن يقوم بما

أوجب الله عليه من الدعوة إلى الحق، والتحذير من خلافه.

فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللهِ وعَمِلَ صالِحاً وقالَ إنَّني مِنَ المُسْلِمينَ**﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال النبي ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[١].

وقال النبي ﷺ: «من دلَّ على خير؛ فله مثل أجر فاعله»[٢].

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

وصلَّى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

قاله الفقير إلى ربه ومولاه

عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

ملحوظة: قال جامع الشرح: جزى الله شيخنا خيراً وغفر له، حيث تفضل بهذا التقديم المبارك المفيد، ومرادي بالمؤلف في هذا الشرح هو شيخنا جامع المتن عفا الله عنه، وما عداه؛ فهو مبيَّن، والله المستعان.

●●●●●

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم وغيره.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فلا يخفى أن أعظم العلوم وأشرفها علم التوحيد وأصول الدين؛ لأن ذٰلك هو الذي خلق الله الثقلين لأجله، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الجنة والنار من أجله، فمن تعلَّم ذٰلك وعمل به؛ فهو التقيُّ السعيد، ومن أهمله وأعرض عنه؛ فهو الشقيُّ العنيد.

وقد امتنَّ الله علينا بدعوة شيخ الإسلام وعلم الأعلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهَّاب؛ فأنقذنا بسببه من ظلمات الشرك والارتياب إلى نور التوحيد والصواب[1]؛ فرحمه الله وأجزل له الأجر والثواب، وأدخله الجنة بغير حساب ولا عذاب، آمين.

وقد جمع الشيخ الفاضل، شيخنا عبد الله بن إبراهيم القرعاوي، في هٰذا العلم العظيم كتاباً مختصراً مفيداً، انتقاه من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب وأحفاده رحمهم الله تعالى، ولما كثر حفظ الطلاَّب له ودراسته في داخل

(١) فهٰذه النعمة الكبرى نحن عنها وعن شكرها ومعرفة قدرها غافلون.

المملكة وخارجها، عنَّ لي أن أضع له شرحاً لطيفاً، يعين بإذن الله تعالى على فهمه ومعرفة بعض ألفاظه وجمله، خصوصاً وأنه لم يشرح شرحاً مفرداً.

ولكن؛ لما لم أكن من أهل هٰذا الشأن، ولست حقيقاً أن ألج في هٰذا الميدان؛ توقفت مدَّة عن الشروع في الكتابة، حتى أخبرت شيخنا المؤلف بما قصدت، فحثني على البداءة بذٰلك، وشجعني جزاه الله خيراً.

فاستعنت بالله الكريم، وشرعت في المقصود بالجمع من كلام الله تعالى، ومن سنَّة رسوله محمد ﷺ، ومن كتب أهل العلم، وسمَّيته: «التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة».

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعينَني ويسدِّدني ويتقبَّل مني، وأسأله أن ينفعني بما كتبته وجميع من قرأه أو سمعه من المسلمين والمسلمات؛ إنه تعالىٰ وليُّ ذٰلك القادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنبيه: لا يخفى على العاقل أن الكمال لله تعالى ولكتابه العزيز، والعصمة لمن عصمه الله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأما سائر الناس؛ فيخطئون ويصيبون، وليسوا بمعصومين، وخير الخطَّائين التوابون.

وجزى الله خيراً من ينبِّهنا على أخطائنا؛ فإن الإنسان محل للخطأ والنسيان.

وقال بعضهم:

وَإِنْ تَجِدْ عَيْباً فَسُدَّ الخَلَلا   فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فيه وَعَلا

تنبيه آخر: قد أردت أن أجعل هٰذا الكتاب حاشية، ولكن لصعوبتها على الكاتب والقارىء جعلتها شرحاً؛ لسهولته ووضوحه، وجعلت المتن بين قوسين، وبخط يخالف الشرح وأمامه دائرة سوداء.

والله الموفق والمعين.

بقلم إبراهيم الخريصي

[عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي]

عفا الله عنه

٢٦ / ١١ / ١٤١٢هـ

●●●●●



بين يدي الكتاب

● **(بسم الله الرحمٰن الرحيم).**

ابتدأ المؤلف كتابه بالبسملة؛ اقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، فيستحبُّ البداءة بها في كل أمرٍ يهتم به شرعاً.

والباء في (بسم الله) للاستعانة.

والاسم: لغةً: ما دلَّ على مسمًّى، واصطلاحاً: كلمة دلَّت على معنى في نفسها، ولم تقترن بزمان، وهو مشتق من السمو، وهو العلو، وقيل غير ذٰلك.

والله: علم على الذات المقدسة، وهو أعرف المعارف على الإطلاق، ومعناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

والرحمٰن: رحمة عامة لجميع المخلوقات.

والرحيم: رحمة خاصة بالمؤمنين.

وهما اسمان كريمان من أسمائه الحسنى، دالَّان على اتصافه تعالى بالرحمة على ما يليق بجلاله وعظمته، والبداءة بالبسملة للتبرك والاستعانة، واقتصر والمؤلف عليها لأنها من أبلغ الثناء والذكر.

قال الحافظ في أول «فتح الباري»: «وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم الرسائل» اهـ.



الأصول الثلاثة

● **(الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها).**

الأصول: جمع أصل، وهو لغةً: أسفل الشيء وأساسه، واصطلاحاً: ما بني عليه غيره.

وهٰذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين التي يرجع الدين كله إليها، ويتفرع منها.

وتقرير هٰذه الأصول الثلاثة ليست من رأي الإمام المجدد رحمه الله تعالى بدون دليل، بل استنبطها من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ:

كما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن البراء بن عازب وغيره رضي الله عنهما من سؤال الميِّت في قبره عن هٰذه الأصول الثلاثة: فأما المؤمن؛ فيثبته الله بالقول الثابت، وأما المنافق أو المرتاب؛ فيقول: هاه! هاه! لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته! فيضرب بمرزبة من حديد يسمعها كل شيءٍ إلّا الإنسان، ولو سمعها؛ لصُعِق.

والأحاديث في ذٰلك كثيرة جدّاً، لا تخفى على من عنده أدنى علم

وإيمان؛ فالله المستعان[1].

فلذلك يجب وجوباً عينيّاً لا كفائيّاً، بل لا يعذر أحد بتركه؛ فإن الواجب والفرض قسمان: فرض عين، وفرض كفاية، وما ذكر رحمه الله؛ فهو فرض عين على كل مكلَّف، لا يعذر أحد بالجهل به، وعند الأصوليين: ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه.

والمراد بالمسلم والمسلمة؛ أي: من المكلفين، حرّاً كان أو عبداً؛ لأن من ترك الأصول؛ حرم الوصول، ومن ترك الدليل؛ ضلَّ السبيل.

فيجب على كل مكلف تعلمها؛ أي: هٰذه الأصول الثلاثة، ومعرفتها، واعتقادها، والعمل بما دلَّت عليه ظاهراً وباطناً.

والعلم: معرفة الهدى بدليله، وإذا أطلق العلم؛ فالمراد به العلم الشرعي الذي تفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه.

قال الإمام المجدد رحمه الله تعالى: «اعلم أن طلب العلم فريضة، وأنه شفاء للقلوب المريضة، وأن أهم ما على العبد معرفةُ دينه الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار أعاذنا الله منها» اهـ.

فمن تعلم هٰذه الأصول وعمل بها ظاهراً وباطناً؛ فهو حريٌّ أن يثبِّته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ومن تهاون بها وتساهل ولم يرفع بها رأساً؛ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه.

﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ للعَبيدِ﴾ [فصِّلت: ٤٦].

---

(١) راجع «تفسير الحافظ ابن كثير» رحمه الله تعالى على هٰذه الآية: ﴿يثبت الله الذين آمنوا...﴾.

● **(وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ)**.

أي: الأصول الثلاثة هي:

معرفة العبد ربه تبارك وتعالى بما تعرف إليه في كتابه وسنة رسوله ﷺ من وحدانيته وأسمائه وأفعاله؛ فهو رب كل شيء ومليكه، لا إله غيره ولا رب سواه. وهـذا أصـل الأصول؛ فيجب علينا معرفته؛ لنعبده على حقيقة وبصيرة، ولا يكون الإنسان على حقيقة من دينه إلا بعد العلم بالله سبحانه، وما يجب له من التعظيم والإجلال.

ومعرفة دينه؛ أي: دين الإسلام الذي تعبَّدنا به بأدلَّته من الكتاب والسنة. والدين: لغة: الذل والانقياد؛ يقال: دنته فدان؛ أي: أذللته فذلَّ. وشرعاً: ما أمر الله به على ألسنة رسله.

ومعـرفـة نبيه محمـد ﷺ؛ لأنه الواسطة بيننا وبين الله تعالى في تبليغ الرسالة، وهو أفضل الخلق على الإطلاق، والآيات والأحاديث في فضله وشرفه كثيرة جدّاً، ومعرفته فرض على كل مكلف؛ لأنه لا طريق لنا إلى عبادة الله إلا بما جاء به ﷺ. والنبي: رجل أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أمر به؛ فرسول.

وذكر المؤلف رحمه الله هذه الأصول مجملة، ثم يذكرها مفصلة أصلاً أصلاً؛ تتميماً للفائدة، وتنشيطاً للقارىء؛ فإنه إذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها؛ بقي متشوقاً إلى معرفة معانيها وتفاصيلها، والله الموفِّق.

● **(فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربَّى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه)**.

هذا شروع في تفصيل ما تقدم من الأصول الثلاثة، وأخرج الكلام بصيغة السؤال؛ ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في الفهم، وأقرب إلى الانتباه.

فإذا قيل لك: مَنْ ربك[1]؛ أي: من إلٰهك الذي خلقك وربَّاك ورزقك النعم لتستعين بها على عبادته وحده لا شريك له؟ والرب: هو المعبود المالك المتصرف، وله معانٍ أخَر، ولا يطلق معرَّفاً بالألف واللام إلَّا على الله تعالى.

فقل أيها العبد: ربي هو الله الذي أوجدني من العدم وربَّاني بالنعم وحده لا شريك له، وربَّى كذٰلك جميع العالمين بنعمه الظاهرة والباطنة، وهو الذي أوجد العالم العلوي والسفلي من العدم، وهو مالكهم ورازقهم والمتصرف فيهم بما شاء.

ونعم الله كثيرة لا تحصى؛ كما قال تعالى: **﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصوها﴾** [إبراهيم: ٣٤].

والخلق مفطورون على معرفة خالقهم سبحانه، لا ينازع في ربوبيته ووجوده إلَّا مجنون أو مكابر معاند، وكل مخلوقاته وآياته ـ وإن دقَّت ـ دالة أعظم دلالة على وجود الخالق وعظمته وتفرُّده بالربوبية وحده لا شريك له ولا إلٰه سواه.

والعالمون: جمع عالم، وهم كل ما سوى الله؛ فالوجود قسمان: رب ومربوب. فالرب: هو الله العظيم سبحانه، والمربوب: هو العالم. والمراد بهم جميع المخلوقات. وسمي العالم عالماً؛ لأنه علامة واضحة دالَّة على صانعه وموجده جلَّ وعلا.

وهو ـ أي: الله تعالى ـ معبودي ـ أي: مألوهي ـ وحده، ليس لي معبود سواه؛ فكما أنه سبحانه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير؛ فهو وحده المتفرد والمستحق بأن يعبد وحده دون من سواه، وهٰذا هو مدلول كلمة الإخلاص: (لا إلٰه إلا الله).

---

(١) راجع على هٰذه المسألة والتفصيل فيها كلام الإمام المجدد رحمه الله في «الدرر السنية» ج ١ ص ٧٣ الطبعة الجديدة المزيدة.

والتعبد: هو التألُّه ذلًّا وحبّاً وتعظيماً للإلٰه الحق الكبير؛ فأعظم دليل على توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية؛ كما يستدل بذٰلك تعالى على المشركين في آيات كثيرة من كتابه:

كما في أول آية في القرآن فيها الأمر بالتوحيد، وهي قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم والَّذينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ**﴾ الآية: [البقرة: ٢١].

● **(وإذا قيل لك: ما دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله).**

شرع المؤلف رحمه الله في بيان الأصل الثاني من أصول الدين:

فإذا قال لك قائل: ما دينك الذي تدين الله به وتنال به السعادة في الدنيا والآخرة؟

ولا بدَّ في هٰذا من معرفة الأدلة من الكتاب والسنة؛ ليكون العبد على نور وبرهان وبصيرة من دينه؛ فإنه لا يأمن في حياته من الشك والزيغ والانقلاب؛ عياذاً بالله من ذٰلك، وكذٰلك بعد مماته عند سؤال الملكين منكر ونكير؛ بأن يقول: هاه! هاه! لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

وما ذكره المؤلف عن الشيخ وأحفاده رحمهم الله في هٰذه النبذة العظيمة المفيدة مع العمل ظاهراً وباطناً بما دلَّت عليه كفيل بإذن الله تعالى بمعرفة أصول الدين والثبات عليه حتى الممات؛ فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً، ونفعنا والمسلمين بعلومهم.

فقل: ديني الإسلام؛ أي: جاوبه بقولك: ديني هو الإسلام، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً غيره، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا

الصلاة والسلام؛ فالدين واحد وهو الإسلام، أما الشرائع؛ فقد تختلف.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والدين له ثلاث مراتب وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان؛ كما لا يخفى على ذوي الإيمان.

وعرَّف رحمه الله الإسلام بأنه هو الاستسلام؛ أي الذلُّ والخضوع لله تعالى بالتوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، من قولهم: استسلم فلان للقتل إذا أسلم نفسه وذلَّ وانقاد وخضع؛ فالمسلم ذليل خاضع منقاد لله وحده، مستسلم طوعاً لعبادته دون من سواه.

والانقياد له بالطاعة؛ أي: فلا يكفي مجرد الاستسلام والخضوع فقط، بل لا بدَّ مع ذلك من الانقياد لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ، وترك المنهيات؛ طاعة لله، وابتغاء وجهه، ورغبة فيما عنده، وخوفاً من عقابه.

والبراءة من الشرك وأهله؛ أي: فالمسلم إذا انقاد لأوامر الله تعالى باطناً وظاهراً؛ وجب عليه شيء آخر، وهو البراءة والتبري من الشرك كبيره وصغيره، ومن أهل الشرك؛ بإظهار عداوتهم وبغضهم وتكفيرهم، وعدم مساكنتهم ومؤاكلتهم، وعدم التشبه بهم في الأقوال والأعمال، بل لا بدَّ من التبري من كل خصلة من خصالهم.

وهٰذا هو أوثق عرى الإيمان، وهو: الولاء والبراء، والحب والبغض، والموالاة والمعاداة.

وهٰذا الأمر العظيم الذي أوجبه الله تعالى في غيرما آية من كتابه العزيز،

وعلى لسان رسوله ﷺ، في عدَّة أحاديث، قد تساهل فيه كثير من الناس في هٰذا الزمان؛ فمستقل ومستكثر، بل قد يكاد الولاء والبراء أن يكون معدوماً؛ إلَّا ما شاء الله، وهٰذا خطر شديد، يخشى على المتساهل فيه من الزيغ وهو لا يشعر والعياذ بالله؛ لأن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن تعالى، وليس للزيغ علامة على صاحبه، بل ربما عوفي ووُسِّع عليه استدراجاً وإملاءً، وهو لا يدري أنه قد مُكِر به؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فالسعيد من تنبه لهٰذا وتعلم دينه وخاف من ذهابه أعظم من خوفه على بدنه ودنياه وماله، ونستغفر الله لما نعلم ولما لا نعلم، ونسأله بمنِّه وكرمه وإحسانه أن يهدينا والمسلمين والمسلمات إلى صراطه المستقيم، وأن يتوفانا عليه، آمين.

تنبيه: وقع في بعض نسخ الأصول الثلاثة ونحوها عبارة: «والخلوص من الشرك»؛ بدل: «والبراءة من الشرك وأهله»، وكلام الشيخ الإمام المجدد قدس الله روحه كما في النسخ المعتمدة بهٰذه العبارة التي شرحناها، وهي: «والبراءة من الشرك وأهله؛ لأن الخلوص من الشرك لا يكفي وحده، بل لا بدَّ معه من البراءة من أهله وتكفيرهم؛ كما قال تعالى عن إمام الحنفاء عليه السلام:

﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْراهيمَ والذينَ مَعَهُ إذْ قالوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بَرآءُ مِنْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ كَفَرْنا بِكُمْ وبَدا بَيْنَنا وبَيْنَكُمُ العداوةُ والبَغْضاءُ أبداً حتى تُؤمِنوا باللهِ وَحْدَهُ. . .﴾ الآية [الممتحنة: ٤]، فتبرؤوا من أهل الشرك قبل الشرك.

وقال الشيخ الإمام رحمه الله في «الأصول» على قوله تعالى: ﴿والرُّجْزَ

فاهْجُرْ﴾؛ قال: «الرُّجز: الأصنام، وهجرها: تركُها وأهلها والبراءة منها وأهلها».

فتأمل، وهٰذا واضح جدّاً، والله المستعان.

● (**وإذا قيل لك: من نبيك؟ فقل: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم**).

هٰذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة، وهو معرفة نبينا محمد ﷺ، الذي بعثه الله للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين.

وهو عبد لا يعبد ورسول لا يكذَّب، بل يطاع ويتَّبع، شرَّفه الله بالعبوديَّة.

فيجب على المكلف معرفته، والإيمان به، ومحبته، وطاعته، وتعظيمه، وتبجيله، وتوقيره، ويستحب ـ وقيل: يجب ـ على المسلم أن يصليَّ ويسلِّم عليه ﷺ عندما يذكر اسمه، وفي الأمر بذٰلك وفضل الصلاة والسلام عليه نصوص من الكتاب والسنة.

ومعرفته ﷺ تشتمل على معرفة نسبه الشريف وعمره وبقائه في الدنيا ووفاته وما نبىء به وما أرسل به وبلده ومهاجره، وأعظم ذٰلك معرفة ما بعث به... إلى غير ذلك؛ كما ذكره الإمام في «الأصول» وغيره.

وكيف لا يعرف المسلم والمسلمة من لا يدخل الجنة وينجو من النار إلاَّ بسلوك طريقه وهديه صلوات الله وسلامه عليه؟! فهو الرحمةِ المهداة لمن أراد الله هدايته وسعادته عاجلاً وآجلاً؛ فلا يعرف الأصل الأول وهو معرفة الله، ولا

الأصل الثاني وهو معرفة الدين؛ إلّا بمعرفة الأصل الثالث وهو معرفة الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ الرسالة، فتحتمت معرفته، وصارت من الضروريات اللازمة.

فبهٰذا يظهر ويتبين أن معرفته أحد الأصول الثلاثة؛ فصلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين[1].

إذا تبيَّن هٰذا؛ فاعلم أن نبينا محمداً ﷺ له عدة أسماء، أشهرها محمد، وهو الذي جاء في القرآن والسنة أكثر من غيره، ومن أسمائه أحمد؛ كما في سورة الصف، وله غيرها ﷺ، وسمي محمداً لكثرة خصاله الحميدة، وأنه يُحمد أكثر مما يحمد غيره، وكنيته أبو القاسم.

وأبوه عبدالله، وهو الذبيح الثاني المفدَّى بمئة من الإبل، والقصة مذكورة في التاريخ.

وجدُّه عبد المطلب، واسمه شيبة، ويقال له: شيبة الحمد؛ لجوده وجماع أمر قريش عليه، وإنما سمِّي بعبد المطلب؛ لأن عمه المطلب قدم به مكة وهو رديفه، وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبداً له (أي: مملوكاً)، فقالوا: هٰذا عبد المطلب! فعلق به هٰذا الاسم.

وأبوه: هاشم، واسمه عمرو، وإنما سمي هاشماً لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سني المَحْل، وهو من قريش، وقريش هو النضر الذي جماع قريش إليه.

ولا خلاف بين العلماء أن هاشماً ابن لعبد مناف، واسمه: المغيرة بن

---

(١) وفي أوائل «زاد المعاد» للعلامة ابن القيم رحمه الله فصل مهم جدّاً في تحتم وضرورة معرفة الرسول ﷺ وما جاء به لا يستغني عنه المسلم.

قصيٍّ بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدٍّ بن عدنان. إلى ها هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه ألبتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.

والمراد بالعرب هنا المستعربة؛ فإن العرب قسمان: عاربة ومستعربة؛ فالعاربة قحطان، والمستعربة عدنان، وهم أفضل من العرب العاربة؛ لأن منهم أفضل الخلق ﷺ، وهو القائل: «إن الله اصطفى بني إسماعيل من العرب، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم؛ فأنا خيار من خيار». رواه مسلم وغيره.

ولما سأل هرقل أبا سفيان رضي الله عنه عن نسب النبي ﷺ؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: وهٰكذا الرسل تبعث في أنساب قومها؛ يعني: في أكرمها أحساباً. خرَّجه البخاري.

فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه؛ فصلوات الله وسلامه عليه.

والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وهٰذا لا خلاف فيه، ولا خلاف أن الخليل عليه السلام من ذرية سام بن نوح عليه السلام.

وقد ذكر المؤرخون نسب الخليل إلى نوح عليهما السلام في مصنفاتهم، كما ذكروا قصة الخليل وذريته مفصلة، وأن الذبيح هو إسماعيل على الصحيح، وهو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

أما ذكر سيرة نبينا محمد ﷺ ومولده ونشأته وغير ذٰلك؛ فهي مذكورة في مؤلفات أهل العلم؛ خصوصاً المحققين منهم؛ كابن القيِّم في «زاد المعاد»، وابن كثير في «البداية والنهاية»، ونحوهما، وكـ «مختصر السيرة» لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب؛ رحمهم الله تعالى أجمعين.

أمـا تعـريف صلاة الله وسـلامـه على من يُصلِّي عليه؛ فالصلاة لغةً: الـدعـاء، وأصـحُّ ما قيل في معنى الصلاة من الله على الرسول ﷺ ما ذكره البخـاري في «صحيحـه» عن أبي العالية رحمه الله؛ قال: «صلاة الله على رسـولـه: ثناؤه عليه في الملإ الأعلى»، والسلام بمعنى التحية أو السلامة من النقـائص والرذائل، ومن أسماء الله سبحانه: السلام؛ لسلامته من النقائص والعيوب جلَّ وعلا.





أصل الدين وقاعدته

● **(أصل الدين وقاعدته أمران: الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه).**

الأصل: تقدم بيانه.

والقاعدة: بمعنى الأصل؛ أي: أن أصل الدين وأساسه وقاعدته الذي ينبني عليه غيره، ويتفرع منه سواه، ولا يصحُّ عمل ولا قول إلا به: أمران عظيمان، وهما: معنى كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، التي خلق الله الثقلين لأجلها.

الأول: الأمر بعبادة الله؛ أي: إفراده بالعبادة كلها له وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿**وقَضى ربُّكَ**﴾؛ أي: أمر ووصى ﴿**أَنْ لا تَعْبُدوا**﴾، وهذا معنى: لا إله، ﴿**إلَّا إيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣]، وهذا معنى: إلا الله.

وكل رسول أرسله الله إلى قومه أول ما يأمرهم به هو إفراد الله بالعبادة دون من سواه:

كما قال تعالى: ﴿**ولَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

والنبي ﷺ مكث في مكة عشر سنين يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له قبل فرض الصلاة وغيرها من الشرائع؛ لأن التوحيد أساس الملَّة وأصلها، وبقية الفرائض فرع منه، فإذا زال الأصل؛ زال الفرع.

والعبادة لغةً: التذلُّل والخضوع والانقياد، وشرعاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ كالدعاء، والصلاة، والخوف، والرجاء، والمحبة، وغير ذٰلك من العبادات؛ فيجب إخلاصها وإفرادها لله وحده لا شريك له، فمن صرف منها شيئاً لغير الله؛ فهو مشرك كافر.

والتحريض على ذٰلك؛ أي: على عبادة الله وحده لا شريك له، والحث على ذٰلك، والصبر والمصابرة على الدعوة إلى التوحيد؛ كما كان النبي ﷺ وأتباعه من بعده، والترغيب فيما أعدَّ الله لعباده المخلصين من النعيم المقيم، والترهيب عما أعدَّ الله للمشركين من العذاب الأليم والخلود في الجحيم، وبذل الوسع في ذٰلك.

والموالاة فيه؛ أي: في التوحيد. والموالاة: الموادة والمصادقة والنصرة، ضد المعاداة، فمن أحب الله؛ أحب فيه، ووالى أولياءه، وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه؛ قويت هٰذه الأعمال المترتبة عليها، وبكمالها يكمل توحيد العبد، وبضعفها يضعف.

فيجب على المسلم موالاة أولياء الله تعالى ومحبتهم؛ لأن ذٰلك من لوازم: لا إله إلَّا الله.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورسولهُ والَّذينَ آمَنوا الَّذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ ويُؤتونَ الزكاةَ وهُمْ راكِعونَ . ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسولَهُ والذينَ آمَنوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبونَ﴾ [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

والآيات والأحاديث في وجوب موالاة المؤمنين كثيرة جدّاً.

وهٰذا على سبيل العموم، أما على سبيل التفصيل وذكر الفرق بين موالاة كامل الإيمان من ناقص الإيمان ونحو ذٰلك؛ فهو مبسوط في موضعه.

وتكفير من تركه؛ أي: التوحيد، فمن لم يفرد الله بالعبادة؛ فهو كافر، كائناً من كان، ولو كان يقوم الليل ويصوم النهار، ومن لم يكفره أو شك في كفره بعد قيام الحجة؛ فهو كافر مثله؛ كما سيأتي الكلام عليه في نواقض الإسلام إن شاء الله تعالى.

● **(الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذٰلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله).**

أي: الأمر الثاني الذي يبنى عليه الدين هو الإنذار؛ أي: والتحذير الشديد، والنهي الأكيد، والوعيد الشديد.

عن الشرك في عبادة الله تعالى؛ لأن الشرك أعظم ذنب عصي الله به. والشرك: النصيب، ومنه الحديث المتفق عليه: «من أعتق شركاً له في عبد»؛ أي: نصيباً، وشاركْتُهُ: إذا صرتَ شريكه، وقد أشرك بالله فهو مشرك: إذا جعل له شريكاً والعياذ بالله.

وتعريف الشرك الشامل: هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

وله أقسام وأنواع يأتي الكلام عليها في مواضعها إن شاء الله تعالى.

وأول آية أرسل بها النبي ﷺ، وأول أمر طرق سمعه بالإنذار عن الشرك: قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها المُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٢]؛ أي: عن الشرك بالله تعالى، فدلَّ على أن النهي عن الشرك أعظم شيء نهى عنه، وأول ذنب

حذَّر منه؛ لأنه بدأ به، ولا يُبدأ إلا بالأهم فالأهم.

والنـذارة عن الشـرك مقدم على الدعوة إلى التوحيد؛ لأنه مدلول كلمة التـوحيد: لا إلـه إلا الله، ولأن هٰذه الآية تقتضي ذٰلك؛ فإنها بدأت بجانب الشـرك؛ لكون العبادة لا تصحُّ مع وجوده؛ لأنه ينافيها، فلو وجدت والمنافي موجود؛ لم تصحّ، ولم تنفع.

ثم ثنى بالتـوحيد بقـولـه: ﴿وربَّـك فكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣]؛ أي: عظمه بالتوحيد؛ لأنه أوجب الواجبات، وهو المقصود، ولا يرفع عمل إلاَّ به.

وفي البداءة بالنهي عن الشرك والإنذار عنه آيات كثيرة وأحاديث شهيرة لا تخفى على من له أدنى علم وبصيرة، والله المستعان.

والتغليظ في ذٰلك؛ أي: في الشرك، والتشديد في النهي عنه وعن أسبابه وذرائعه الموصلة إليه؛ لأنه أظلم الظلم وأبطل الباطل، ومع ذٰلك؛ فهو هضم للربوبية، وتنقُّص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين جلَّ وعلا وتقدَّس.

والشـرك أقبـح المعـاصي وأشنعهـا على الإطلاق؛ لأنه يقتضي تسوية المخلوق النـاقص من كل وجـه بالخـالق العـظيم الكامل من جميع الوجوه؛ فسبحان الله وتعالى عمَّا يشركون.

ولذٰلك كانت جميع الذنوب تحت المشيئة؛ إلا الشرك:

كما قال تعالى: ﴿إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دونَ ذٰلكَ لِمَنْ يَشاءُ ومَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظيماً﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وقالَ المَسيحُ يا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدوا اللهَ رَبِّي وربَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليهِ الجَنَّةَ ومَأْواهُ النارُ ومَا للظالِمينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك...» الحديث.

والآيات والأحاديث في التغليظ والتشديد في الشرك وأهله كثيرة جدّاً.

والمعاداة فيه؛ أي: في الشرك وأهله.

كما قال تعالى: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْراهيمَ والذينَ مَعَهُ إذْ قالوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بَرآءُ مِنْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ كَفَرْنا بِكُمْ وبَدا بَيْنَنا وبَيْنَكُمُ العَداوَةُ والبَغْضاءُ أَبَداً حَتى تُؤمِنوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فيجب على المسلم أن يبغض أهل الشرك ويعاديهم ويصارمهم ويقاطعهم، سواء كانوا قريبين أم بعيدين؛ فإن القرب إنما هو في الحقيقة قرب الدين لا قرب النسب؛ فالمسلم، ولو كان بعيد الدار؛ فهو أخوك في الدين، والكافر، ولو كان أخاك في النسب؛ فهو عدوك في الدين، وحرام على كل مسلم ومسلمة موالاة الكفار، بل يجب اتخاذهم أعداء وبغضاء.

وقد نفى الله الإيمان عمَّن يوادُّ الكفار ويحبهم؛ كما قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤمِنونَ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ يُوادُّون مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ وَلَو كانوا آباءَهُم...﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

فلا يجتمع الإيمان ومحبة أعداء الله، بل لا تجد المؤمنين إلَّا محادِّين مَن حادَّ الله ورسوله، معادين من عادى الله ورسوله.

وتكفير من فعله؛ أي: الشرك؛ كما تقدم، ومن لم يكفر المشركين أو شكَّ أو توقف في كفرهم؛ فهو كافر مثلهم؛ كما تقدم.

وجميع ما قرَّره الإمام رحمه الله تعالى في الأمر الثاني؛ فهو يقابل ما في

الأمـر الأول؛ فالأمـر بالتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له يقابله النهي عن الشـرك والإنذار عنه، والتحريض على التوحيد يقابله التغليظ في الشرك. . . وهٰكذا، فجزاه الله خيراً، ونفعنا والمسلمين بعلمه.

وفي أوائل «مجموعة التوحيد» شرح نفيس جدّاً لهٰذا الأصل، لا يستغني عنه طالب العلم، والله الموفِّق.



شروط (لا إله إلا الله)

الشروط: جمع شرط، وهو لغةً: العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، واصطلاحاً: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده الوجود؛ فإذا عدمت الشروط أو بعضها؛ عدم المشروط، ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط، والشرط مقدم على المشروط.

وهٰذه الشروط السبعة نقلها المؤلف رحمه الله من كلام العلَّامة المجدد الثاني الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رحمه الله؛ كما في «فتح المجيد».

وقد يقول قائل: من أين هٰذه الشروط السبعة؟ فيقال له: هي مستنبطة من الكتاب والسنة بالاستقراء والتتبع؛ كما أجمع العلماء على أن للصلاة شروطاً وأركاناً وغير ذٰلك مما قرَّره أهل العلم مما لم يرد به نصٌّ؛ فإنما ذٰلك بالاستقراء والتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فجزى الله أهل العلم العاملين عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً.

إذا تبين هٰذا؛ فالشيخ رحمه الله وجزاه خيراً اختصرها في هٰذه الأسطر اليسيرة لمن أراد الله هدايته نصحاً للمسلمين، وطلباً لمرضاة الله تعالى.

إذا فهمت هٰذا؛ فاعلم أن (لا إله إلا الله) لا تنفع قائلها إلَّا باجتماع هٰذه الشروط كلها، والعلم بها، والعمل بمقتضاها؛ ظاهراً وباطناً، والله الموفِّق.

ثم اعلم أن هٰذه الشروط السبعة كان الكفار في زمن رسول الله ﷺ يعلمون أنه لا بدَّ لمن قال كلمة التوحيد أن يكون آتياً بشروطها قبل النطق بها؛ لأنهم أهل لغة ومعرفة بالكلام العربي حقيقة؛ فلا يُقدمون على التلفظ بها؛ لمعرفتهم لمعناها ولما تقتضيه وتستلزمه:

ولذٰلك لمَّا قال لهم النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله؛ تفلحوا»[1]؛ قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً واحداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾ [صٓ: ٥].

وكما قال النبي ﷺ[2] لعمه أبي طالب: «يا عمِّ! قل: لا إلٰه إلا الله؛ كلمة أحاجُّ لك بها عند الله». فقال له جلساء السوء: أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟! فلم ينطق بها؛ لعلمه وعلم جلساء السوء: أنه إذا قالها؛ فقد خلع من قلبه وقالبه الأنداد والأوثان، وأفرد العبادة كلها لله الواحد الرحمٰن. فالله المستعان.

ولمَّا جهلت اللغة العربية الفصحى، وترك تعلم معناها[3]؛ صار أكثر الناس يقولها وهو لا يعلم معناها، فيقع فيما يناقضها ـ فضلاً عمَّا ينقصها ـ وهو لا يدري.

فلذٰلك قرَّر الشيخ رحمه الله هٰذه الشروط؛ ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيى من حيَّ عن بيِّنة.

وقال الشيخ المجدد رحمه الله في «كشف الشبهات»: «فإذا عرفت أن جهَّال الكفَّار يعرفون ذٰلك[4]؛ فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد وغيره.

(٢) متفق عليه.

(٣) أي: معنى لا إلٰه إلا الله.

(٤) الإشارة إلى ما سبق بيانه من كون الكفار يعلمون معنى كلمة التوحيد حقيقة.

تفسير هٰذه الكلمة ما عرفه جهَّال الكفَّار، بل يظن أن ذٰلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلَّا الله؛ فلا خير في رجل جهَّالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله» اهـ المقصود منه.

● (الأول: **العلم بمعناها نفياً وإثباتاً**).

هٰذا هو الشرط الأول من الشروط السبعة، وهو العلم المنافي للجهل، والعلم: معرفة الهدى بدليله.

فمعنى (لا إلٰه إلا الله): لا معبود بحق إلَّا الله؛ أي: لا مألوه يستحق العبادة كلها وحده دون من سواه إلَّا الله سبحانه، وكل مألوه سوى الله عزَّ وجلَّ؛ فإلٰهيته أبطل الباطل وأضل الضلال.

هٰذا هو معنى هٰذه الكلمة العظيمة، لا كما يقوله بعض الجهلة: إن معناها لا يخلق ولا يرزق إلَّا الله! فإنها وإن دلَّت عليه بطريق التضمن؛ فهي موضوعة لتوحيد الإلٰهية، الذي هو إفراد الله بالعبادة، وهو الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب في تقريره وإيضاحه والأمر به والنهي عن ضدِّه، أما توحيد الربوبية؛ فقد أقرَّ به المشركون على عهد رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم ذٰلك في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحلَّ دماءهم وأموالهم؛ لأنه يريد منهم إفراد العبادة لله وحده لا شريك له.

فبهٰذا يتبين أن مدلول (لا إلٰه إلا الله) مطابقة هو إفراد الله بالعبادة.

وهٰذه الكلمة العظيمة لها ركنان، وهما: النفي والإثبات: (لا إلٰه): تنفي جميع ما يُعبد من دون الله، و (إلَّا الله): تثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له. والنفي المحض ليس بتوحيد، والإثبات المحض ليس بتوحيد، بل لا بدَّ من الجمع بين النفي والإثبات.

أما إعراب هٰذه الكلمة؛ فـ:

(لا): نافية للجنس تعمل عمل (إنَّ).

و (إلٰه): اسمها مبني معها على الفتح، وخبرها محذوف تقديره: حق.

و (إلَّا): أداة استثناء ملغاة.

ولفظ الجلالة مرفوع على البدلية.

وضد العلم: الجهل، وهو نوعان: جهل مركب، وجهل بسيط: فالجهل المركب: هو تصور الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع. والجهل البسيط: عدم العلم بالشيء. والله أعلم.

● **(الثاني: اليقين: وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب).**

أي: الشرط الثاني: اليقين، وهو إزاحة الشك، وذٰلك من قوة العلم وكماله؛ فلا بدَّ أن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هٰذه الكلمة يقيناً جازماً لا تردد فيه ولا توقف؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلَّا علم اليقين لا علم الظن؛ فكيف إذا دخله الشك والعياذ بالله. فاليقين شرط، فإذا انتفى؛ انتفى المشروط.

والشك والريب مترادفان، والشك في علم الأصول: تجويز أمرين لا مزيَّة لأحدهما على الآخر.

● **(الثالث: الإخلاص المنافي للشرك).**

أي: الشرط الثالث: الإخلاص، وهو لغةً: التصفية، وشرعاً: محبة الله وإرادة وجهه وتصفية العبادة كلها له وحده من الشرك كله؛ لأنه هو المستحق لها دون من سواه.

فلا تنفع هٰذه الكلمة بدون الإخلاص المنافي للشرك المتقدم تعريفه،

وأنه هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

● **(الرابع: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق).**

أي: الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب؛ فلا بدَّ أن يقولها صدقاً من قلبه، يواطىء قلبه لسانه، أما إذا قالها بلسانه في الظاهر وهو كاذب في الباطن؛ فهٰذا منافق، والنفاق: هو إظهار الخير وإبطان الشر عياذاً بالله من النفاق.

وقد فضح الله المنافقين الذين يقولونها كذباً في آيات من كتابه العزيز، بل أنزل فيهم سورة كاملة ـ وهي سورة المنافقين ـ لعظم خطرهم، وكذا معظم سورة التوبة فيهم، وتسمَّى الفاضحة؛ لأن الله كشف فيها أستارهم، وأبدى فضائحهم، وحذَّر منهم ومن صفاتهم، وما ذاك إلا لشدة شرِّهم والتباسهم بالمسلمين؛ فهم أعداء الإسلام وأهله الباطنون، أما الكفار؛ فهم أعداء ظاهرون.

ويأتي مزيد كلام على المنافقين في أنواع النفاق إن شاء الله تعالى.

فالصدق شرط، فإذا انتفى؛ انتفى المشروط.

والصدق لغةً: مطابقة الشيء للواقع والاعتقاد، وضدُّه الكذب.

● **(الخامس: المحبة لهٰذه الكلمة ولما دلَّت عليه والسرور بذلك).**

أي: الشرط الخامس: المحبة لهٰذه الكلمة، وضدُّها الكراهية.

والمحبة أمرها عظيم وخطبها جسيم، بل إن العبادة مبنية على ثلاثة أصول: الخوف، والرجاء، والمحبة.

والمحبة تنقسم إلى قسمين: محبة واجبة، ومحبة مستحبة.

فالمحبة الواجبة: هي التي لا يُحكم لأحد بأنه مسلم إلا بالإتيان بها،

وهي محبة الله محبة توجب فعل ما أوجبه عليه وألزمه به، وترك ما حرمه عليه، فإن أخلَّ بذلك كله، أو بما لا يدخل الإسلام إلَّا به؛ فليس بمسلم، وإن تهاون ببعض الواجبات؛ فينقص من إيمانه على حسب ذلك.

والمحبة المستحبة: هي التي تقتضي الإتيان بما ندب إلى فعله وحُثَّ عليه؛ فلا بدَّ من المحبة لكلمة التوحيد، ولما دلَّت عليه من الأوامر ونحوها، والسرور والفرح بذلك.

ومدار المحبة على اتباع سنة رسول الله ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنوبكُمْ واللهُ غفورٌ رَحيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وهذه الآية تسمى آية المحنة؛ لأن الله امتحن بها من ادَّعى محبته.

وقد قال بعض المتقدمين رحمه الله تعالى:

تعْصي الإلٰهَ وأنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ	هٰذا لَعَمْري في القِياسِ شَنيعُ
لو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأطعْتَهُ	إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

والمقصود أن المحبة شرط، فإذا انتفت؛ انتفى المشروط.

● **(السادس: الانقياد بحقوقها ـ وهي الأعمال الواجبة ـ إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته).**

أي: الشرط السادس: الانقياد، وضده الترك.

والانقياد بحقوقها هو المحكُّ؛ لأن كثيراً ممن يدَّعي أنه يعلم معنى هٰذه الكلمة، وأنه مخلص ومصدق ومستيقن، إذا أُمِر بأمر أو نُهي عن شيء؛ لم ينقد، وبان بطلان دعواه؛ لأنه لو كان صادقاً ومستيقناً ومحبّاً حقيقةً؛ لانقاد بحقوق هٰذه الكلمة ظاهراً وباطناً؛ إخلاصاً لله، وطلباً لمرضاته، وخوفاً من

غضبه وعقابه.

وتأمل قصَّة أبي طالب لعنه الله؛ فإنه قد صدق بالنبي ﷺ، وعلم وتيقَّن صدق ما جاء به، ولكنه لم ينقد لأوامر الله تعالى، فلم ينفعه ذٰلك ومحبته له، بل هو كافر مشرك خالد مخلد في نار جهنم والعياذ بالله؛ إلا أنه يخفف عنه العذاب بشفاعة النبي ﷺ الخاصة لأبي طالب في تخفيف العذاب فقط؛ حيث إنه حماه وذاد عنه بنفسه وأهله، وكان يحوطه وينصره، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه[1]. نسأل الله العافية.

فالانقياد شرط، فإذا انتفى الشرط؛ انتفى المشروط.

● (السابع: **القبول المنافي للرَّد**).

أي: الشرط السابع: القبول المنافي للرَّد.

فلا بدَّ من قبـول هٰذه الكلمـة بالقلب واللسـان، فمن لم يقبلها وردها واستكبر عنها؛ فهو كافر؛ كما ردَّها كفَّار قريش عناداً واستكباراً ولم يقبلوها.

وقد قصَّ الله علينا في كتابه من أنباء ما قد سبق من إنجائه لمن قبل هٰذه الكلمة، وانتقامه ممّن ردَّها وأباها، وكذٰلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثـواب، ومـا أعـدَّه لمن ردَّها من العذاب، والآيات في ذلك كثيرة معلومة، خصـوصـاً عند ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما حصل لأممهم عندما يقبلونها أو يردونها؛ جزاء وفاقاً، وما ربُّك بظلَّام للعبيد.

فالمقصود: أن القبول شرط من الشروط السبعة التي لا تصحُّ هٰذه الكلمة والشهادة إلاَّ باجتماعها كلها.

---

(١) كما رواه البخاري ومسلم مرفوعاً.

وبهٰذا الشرط تمت الشروط مجملة، ثم تأتي مفصلة بأدلتها من الكتاب والسنة إن شاء الله تعالى.

●●●●●

أدلَّة هٰذه الشروط

من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ

هٰذا شروع من المؤلف رحمـه الله في بيان أدلَّة الشروط المتقدمة من الكتاب والسنة.

والأدلَّة: جمع دليل، والدليل: هو ما يوصِل إلى المطلوب.

فبمعرفة هٰذه الأدلَّة يصير المسلم على حقيقة ونور من دينه؛ فلا يتلعثم، ولا يتردد، ولا يتزعزع، ولا يكون إمَّعة.

واعلم أنـه ليس المقصـود حفظ هٰذه الشروط بأدلتها فقط بدون العمل والتطبيق؛ فكم من عامِّي اجتمعت فيه هٰذه الشروط والتزمها وعمل بها، ولو قيل له: اعددها؛ لم يحسن ذٰلك. وكم من حافظ لألفاظها، يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها وينقصها وهو لا يشعر، وعلى هٰذا فقس، والتوفيق بيد الله، والله المستعان.

أفاده العلاَّمة حافظ حكمي رحمه الله تعالى مع التصرُّف قليلاً[1].

وقد جمع بعضهم هٰذه الشروط بقوله:

---

(١) في كتابه المفيد «معارج القبول».

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُكَ معْ محبةٍ وانقيادٍ والقَبول لَها

وزِيْدَ ثامِنُها الكُفْرانُ مِنْكَ بِما دونَ الإلٰهِ مِنَ الأوثانِ قَدْ أُلِها

وهٰذا الأخير جعله بعضهم شرطاً ثامناً، وهو كذٰلك، لٰكن أشار بعض العلماء إلى أنه داخل في السبعة المتقدمة عند التأمل، وهو أيضاً له أدلَّة، فإذا انتفى؛ انتفى المشروط.

● **(دليل العلم: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلٰه إِلَّا اللهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ﴾؛ أي: بـ(لا إله إلا الله)، ﴿وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]؛ بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم).**

أي: دليل العلم من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، و(اعلم): فعل أمر من العلم، وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع؛ أي: كن متهيئاً ومتفهماً لما يقال لك؛ فهي كلمة يؤتى بها للأمور المهمة. ﴿أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾؛ أي: لا معبود بحق إلَّا الله وحده لا شريك له.

والشاهد من هٰذه الآية كلمة (اعلم)؛ لأنها دلَّت على أن العلم مقدم على القول، ولا يبدأ إلَّا بالأهم فالأهم؛ فلا يصحُّ قول ولا عمل إلا بعد العلم؛ فهو شرط مقدم عليهما؛ لأنه مُصَحِّحٌ للنيَّة المصححة للعمل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ﴾؛ أي: ب(لا إله إلا الله)، ﴿وهُمْ يَعْلَمونَ﴾ بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

فالشاهد قوله: ﴿يَعْلَمونَ﴾؛ فاشترط في شهادتهم بالحق علمهم بذٰلك؛ لأن الشهادة على الشيء لا تصحُّ إلَّا بعد العلم؛ فكيف بهٰذه الشهادة العظيمة التي خلق الله الثقلين لأجلها؟! فهل تمكن عبادة الله التي هي حقه تعالى علينا

إلاَّ بالعلم قبل العمل؟!

وقال بعضهم:

وكُـلُّ مَنْ بِغَـيرِ عِلْمٍ يَعْـمَـلُ أَعْـمـالُـهُ مَرْدودَةٌ لا تُقْـبَـلُ

● **(ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح عن عثمان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»).**

أي: ودليل العلم من السنة، والسنة لغةً: الطريقة، واصطلاحاً: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته.

والمراد بـ (الصحيح)؛ أي: «صحيح» البخاري ومسلم أو أحدهما رحمهما الله تعالى؛ لأن كتابيهما أصحُّ الكتب المصنفة في حديث رسول الله ﷺ، وهٰذا الحديث رواه مسلم في «صحيحه».

وعثمان: هو ابن عفَّان، ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، يقال له: ذو النورين؛ لتزوجه بابنتي رسول الله ﷺ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وفضائله كثيرة، قُتِل رضي الله عنه ظلماً سنة ٣٥هـ.

والشاهد من الحديث قوله: «وهو يعلم»؛ فدلَّ على أن العلم شرط، والشرط مقدم على المشروط.

لكن لا بدَّ مع العمل بالعلم، وإلَّا؛ كان حجة على صاحبه كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من علم وإيمان. والله المستعان.

● **(ودليل اليقين قوله تعالى: ﴿إِنَّما المُؤمِنونَ الذينَ آمَنوا باللهِ ورَسولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابوا وجاهَدوا بِأَمْوالِهِم وأَنْفُسِهِم في سَبيلِ اللهِ أُولئكَ هُمُ**

الصادِقونَ﴾ [الحجرات: ١٥]؛ فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا؛ أي: لم يشكوا، فأما المرتاب؛ فهو من المنافقين).

أي: ودليل اليقين وأنه شرط من شروط (لا إلٰه إلا الله) السبعة قوله تعالى: ﴿**إنَّما المُؤمِنونَ**﴾؛ أي: إنما المؤمنون الكمل ﴿**الذينَ آمنوا باللهِ ورَسولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابوا**﴾؛ أي: لم يشكوا ولا تزلزلوا، بل ثبتوا على حالٍ واحدة، وهي: التصديق المحض، ﴿**وجاهَدوا بِأَمْوالِهِم وأَنْفُسِهِم في سَبيلِ اللهِ**﴾؛ أي: وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، ﴿**أُولٰئكَ هُمُ الصادِقونَ**﴾؛ أي: في قولهم، لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلّا الكلمة الظاهرة.

فالشاهد من هٰذه الآية أن الله سبحانه اشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا؛ أي: لم يشكوا، بل هم موقنون تمام الإيقان، فأما المرتاب؛ فهو من المنافقين:

كما قال تعالى: ﴿**إنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الذينَ لا يُؤمِنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ وارْتابَتْ قُلوبُهُم فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدونَ**﴾ [التوبة: ٤٥].

وقال تعالى عنهم: ﴿**مُذَبْذَبينَ بينَ ذٰلِكَ لا إلى هٰؤلاءِ ولا إلى هٰؤلاءِ**﴾ [النساء: ١٤٣].

وكما وصفهم الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه بأنهم في قلوبهم مرض؛ أي: شك وريب، عياذاً بالله من حالهم، وكما في آية (١٤) من سورة الحديد[١].

● **(ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول**

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ينادونهم ألم نكن معكم..﴾ إلخ الآية؛ فأكملها.

الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما؛ إلا دخل الجنة»، وفي رواية: «لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما؛ فيحجب عن الجنة»).

أي: ومن السنة على أن اليقين شرط: ما ثبت في «الصحيح»؛ أي: «صحيح مسلم»، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واسمه عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي الصحابي المشهور أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ، أسلم عام خيبر، وأدرك ما أدرك من العلم والخير في سنوات قليلة، وتوفي سنة ٥٧هـ رضي الله عنه وأرضاه.

والشاهد من هٰذا الحديث قوله: «غير شاك»؛ فاشترط في الشهادتين الموجبتين لدخول الجنة عدم الشكِّ؛ لأنه ينافي اليقين، ولأن الشكَّ كفر؛ كما سيأتي الكلام عليه في أنواع الكفر المخرج من الملَّة إن شاء الله تعالى.

● **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً من حديث طويل: «من لقيت من وراء هٰذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقناً بها قلبه؛ فبشره بالجنة»).**

وهٰذا الحديث أيضاً دليل على اشتراط اليقين، وأول الحديث كما في «صحيح مسلم»: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: «كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا...» إلخ.

والشاهد منه قوله: «مستيقناً بها قلبه»؛ فاشترط في هٰذه الكلمة العظيمة اليقين الذي هو كمال العلم بها المنافي للشكِّ والريب، فإذا انتفى الشرط؛ انتفى المشروط.

فائدة: اليقين له ثلاث مراتب: الأولى: علم اليقين. الثانية: عين اليقين. الثالثة: حق اليقين. وقد مُثِّلت المراتب الثلاث بمن أخبرك أن عنده

عسلاً وأنت لا تشكُّ في صدقه، ثم أراك إياه؛ فازددت يقيناً، ثم ذقت منه.

فعلمنـا الآن بالجنـة والنـار علم يقين، فإذا أزلفت الجنـة في الموقف للمتقين، وشـاهـدها الخلائق، وبرِّزت الجحيم للغاوين، وعاينها الخلائق؛ فذلك عين اليقين. فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار؛ فذلك حينئذٍ حق اليقين.

وقد شرح هٰذه المراتب العلاّمة ابن القيِّم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين» فأجاد وأفاد.

● **(ودليـل الإخـلاص: قولـه تعـالى: ﴿ألا للهِ الدينُ الخالصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿وما أُمِروا إلاّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ حنفاءَ﴾ [البيِّنة: ٥]).**

أي: ودليل أن الإخلاص شرط: قوله تعالى: **﴿ألا للهِ الدينُ الخالِصُ﴾**؛ أي: لا يقبل من العمل إلاَّ ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له، وهٰذا هو معنى شهادة أن لا إله إلاَّ الله؛ ففي هٰذه الآية بيان أن العبادة لا تنفع بدون الإخلاص المنافي للشرك؛ لأنه شرط، فإذا انتفى؛ انتفى المشروط.

وقوله تعالى: **﴿وما أُمِروا إلاَّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدينَ حُنَفاءَ﴾**؛ أي: وما أمر الذين كفروا وأهل الكتاب إلاَّ بأن يفردوا الله بالعبادة مخلصين له الدين وحده لا شريك له حنفاء؛ أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، والحنيف مشتق من الحنف، وهو الميل؛ فالحنيف المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد، والحنيف أيضاً: المستقيم، المتمسك بالإسلام، المقبل على الله، المعـرض عن كل ما سواه، ويطلق على كل من كان على دين إبـراهيم عليه الصلاة والسلام.

والشاهد من هٰذه الآية: قوله: **﴿مُخْلِصينَ﴾**، فدلَّت على أن الإخلاص

شرط من شروط (لا إلٰه إلاَّ الله).

● **(ومن السنة: الحديث الثابت في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إلٰه إلاَّ الله؛ خالصاً من قلبه أو نفسه»).**

أي: ومن السنة على أن الإخلاص شرط الحديث الثابت في الصحيح؛ أي: في «صحيح البخاري».

وهٰذا الحديث وقع جواباً عن سؤال، وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: قلت: يا رسول الله! مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هٰذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة... إلخ».

فالشاهد من هٰذا الحديث قوله: «خالصاً»؛ ففيه أن الإخلاص شرط في كلمة التوحيد، وأن من لم يخلص العبادة لله وحده لا شريك له؛ لم تنله الشفاعة؛ لأنه مشرك، والمشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين؛ لأن الشفاعة شفاعتان: شفاعة مثبتة، وهي لأهل التوحيد الذين ماتوا عليه، وشفاعة منفية: وهي شفاعة المشركين الذين ماتوا عليه.

وتفصيل الشفاعة وما يلتحق بذٰلك مذكور في محله، وهٰذا الشرح المقصود فيه الاختصار ما أمكن، والله المستعان.

● **(وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الله حرَّم على النار من قال: لا إلٰه إلاَّ الله؛ يبتغي بذٰلك وجه الله عزَّ وجلَّ»).**

هٰذا الحديث دليل ثانٍ على الإخلاص، وهو ما ثبت في «الصحيح»؛

أي: «صحيح» البخاري ومسلم عن عِتبان ـ بكسر العين، ويجوز ضمُّها ـ بن مالك بن عمرو بن العجلان الخزرجي السالمي صحابي مشهور بدري رضي الله عنه مات في خلافة معاوية رضي الله عنه.

وهٰذا الحديث قطعة من حديث طويل، وله قصة، وهٰذا طرف منه، ومحلُّ الشاهد منه قوله: «يبتغي بذٰلك وجه الله»، فاشترط لذٰلك الإخلاص الذي هو محبة الله وإرادة وجهه، المقتضي لإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، ومن قالها يبتغي بذٰلك وجه الله؛ لا بدَّ أن يعمل بما دلَّت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، وإلاَّ؛ كان مشركاً أو منافقاً؛ فإن المشرك والمنافق لم يأتيا بهٰذا الشرط العظيم: أما المشرك؛ فلم يأت به ظاهراً وباطناً، وأما المنافق؛ فإنه لم يأت به باطناً لا ظاهراً.

وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط؛ فدخول الجنة والنجاة من النار متوقِّف على الإتيان بجميع الشروط السبعة لا على واحد منها.

● **(وللنسائي في «اليوم والليلة» من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: «من قال: لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها قلبه، يصدق بها لسانه؛ إلاَّ فتق الله لها السماء فتقاً، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله»).**

هٰذا الحديث أخرجه النسائي في كتابه «عمل اليوم والليلة» (برقم ٢٨)، ورواه الحكيم الترمذي أيضاً عن رجلين من الصحابة، والإبهام في الصحابة لا يضرُّ؛ لأنهم كلهم عدول رضي الله عنهم بتعديل الله تعالى لهم في كتابه وتعديل رسوله ﷺ لهم في الأحاديث الصحيحة.

ولفظ النسائي: «ما قال عبد قطُّ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له له الملك

وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ مخلصاً بها روحه، مصدِّقاً بها قلبُه لسانَه؛ إلَّا فتق له أبواب السماء حتى ينظر الله إلى قائلها، وحُقَّ لعبدٍ نظر الله إليه أن يعطيه سؤله»[1].

ومعنى (لا إلٰـه إلَّا الله): لا معبـود بحقٍّ إلا الله. و(وحـده): تأكيد للإثبات. و(لا شريك له): تأكيد للنفي.

قال الحافظ: «تأكيد بعد تأكيد اهتمام بمقام التوحيد».

والشـاهد من هٰذا الحديث قوله: «مخلَصاً بها»؛ ففيه ذكر الإخلاص، وبيان عظمة شأنه، وما يترتب عليه من الفضل الجزيل، وأن هٰذا الثواب المذكور لا بدَّ فيه من مواطأة القلب واللسان على هٰذا الذكر العظيم، وكلما ازداد إيمان العبد وإخلاصه وصدقه؛ كان أقرب إلى نيل هٰذا الفضل والثواب ممَّن هو دونه، وذٰلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والأحاديث في مثل هٰذا الثواب وذكر الإخلاص وفضله كثيرة جدّاً.

وللحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في ذٰلك رسالة مشهورة، من ابتغاها وجدها.

● (ودليل الصدق: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ . أَحَسِبَ الناسُ أَنْ يُتْرَكوا أَنْ يَقولوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنونَ . ولَقَدْ فَتَنَّا الذينَ مِنْ قَبْلِهِم فَلْيَعْلَمَنَّ اللهُ الذينَ صَدَقوا ولَيَعْلَمَنَّ الكاذِبينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]).

أي: ودليل الصدق وأنه شرط من الشروط السبعة هٰذه الآيات الكريمات التي يخبر الله تعالى فيها أنه لا بدَّ من الابتلاء والاختبار لمن أراد أن يكون من أهل الإيمان.

---

(١) وهو حديث حسن إن شاء الله.

وقولـه ﴿أَحَسِبَ﴾: استفهـام إنكار؛ أي: لا يحسب العبد أنه بمجرد دعــواه الإيمــان بلســانـه يكـون مؤمناً بل لا بد من اختبـاره ليتبين صدقـه من كذبه.

وهٰذه سنة الله تعالى في الذين من قبلنا من الأمم السابقة؛ فالصادق في قوله يثبت عند حدوث الفتن والابتلاء ثبوت الجبال الراسيات، والكاذب في دعواه ينقلب على وجهه وينكص على عقبيه عند أدنى فتنة وابتلاء، نسأل الله السلامة والعافية؛ فالفتنة تبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق. والله المستعان.

وذٰلك أنَّ الصادق في إيمانه إنما دخله محبة ورغبة، وذاق طعمه، وعرف دينه بأدلته، وعمل بمقتضى ذٰلك، فيثبته الله تعالى بلطفه وكرمه ورحمته في الدنيا والآخرة.

وأمـا الكاذب؛ فإنما دخله لحظِّ نفسه، وعصمة دمه وماله، فلم يعرف دينـه، ولم يذق طعمه، ولم يصل الإيمان إلى سويداء قلبه؛ فلذٰلك ينفضح بالفتنة والابتلاء جزاء وفاقاً؛ فعند ذٰلك يتبين أمره وينكشف سرُّه والعياذ بالله.

فالشاهد أن الصدق شرط، وأن الكذب ينافيه، وإذا انتفى الشرط؛ انتفى المشروط.

● **(وقوله تعالى: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقولُ آمَنَّا باللهِ وباليومِ الآخِرِ وما هُمْ بِمُؤمِنينَ . يُخـادِعونَ اللهَ والذينَ آمَنوا وما يَخْدَعونَ إلَّا أَنْفُسَهُم وما يَشْعُرونَ . في قلوبِهِم مَرَضٌ فزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ولَهُم عَذابٌ أَليمٌ بما كانوا يكْذِبونَ﴾ [البقرة: ١٦٥]).**

وهٰذا دليل آخر للصدق، وقد تقدم هٰذه الآيات من سورة البقرة أربع آيات في صفة المؤمنين، ثم آيتان في صفة الكافرين، ثم هٰذه الآيات في المنافقين،

في أكثر من عشر آيات؛ لاشتباه أمرهم على كثير من الناس؛ لأنهم ليسوا بكفارٍ ظاهرين فيحذرون، ولا بمؤمنين صادقين فيعرفون ويؤتمنون، بل هم مذبذبين بين ذٰلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هٰؤلاء، كالشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هٰذه مرة، لا تدري أيّهما تتْبع؛ فلذٰلك أطنب في ذكرهم بصفات متعددة في سور كثيرة وآيات شهيرة؛ تعريفاً لأحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضاً.

فقال تعالى: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَقولُ آمَنَّا. . .﴾ الآيات؛ أي: بلسانه فقط دون قلبه؛ فهو كاذب مخادع، ومخادعته عائدة عليه، لكنه لا يشعر بذٰلك؛ لحمقه وجهله. وقوله: ﴿في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ﴾؛ أي: شكٌّ وريبٌ ونفاقٌ، ﴿فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾؛ لأن الجزاء من جنس العمل، ﴿ولَهُم عَذابٌ أَليمٌ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ المنافِقينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وذلك ﴿بِما كانوا يَكْذِبونَ﴾.

فدلَّت هٰذه الآيات على أن الصدق شرط وأن الكذب ينافيه.

● **(ومن السنة: ما ثبت في «الصحيحين» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، صدقاً من قلبه، إلاَّ حرَّمه الله على النار»).**

أي: ودليل الصدق من السنة ما ثبت في «الصحيحين» - أي صحيحي البخاري ومسلم - عن معاذ بن جبل أبي عبد الرحمٰن الخزرجيِّ الأنصاري الصحابي المشهور، كان إليه المنتهى في العلم والأحكام والقرآن، وهو من أعيان الصحابة، قال فيه النبي ﷺ: «معاذ يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة»[1]؛ أي: بخطوة أو رمية سهم أو نحو ذٰلك؛ كما في «النهاية» وغيرها،

(١) حديث صحيح خرَّجه ابن سعد وغيره.

وبالجملة؛ ففضائله كثيرة، مات رضي الله عنه سنة ١٨هـ بالشام في طاعون عَمواس، وله ٣٨ سنة رضي الله عنه وأرضاه.

ولفظ هٰذا الحديث عند البخاري: عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل؛ قال: «يا معاذ بن جبل!». قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «يا معاذ!». قال: لبيك يا رسول الله وسعديك؛ ثلاثاً. قال: «ما من أحد...» الحديث، وفي آخره: قال: يا رسول الله! أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذاً يتكلوا»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً؛ أي: خشية الوقوع في الإثم الحاصل من كتم العلم.

فالشاهد من هٰذا الحديث قوله: «صدقاً من قلبه»، فاشترط في الشهادتين الصدق الذي ضدَّه الكذب.

وقد قال الله تعالى: ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقونَ قالوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسولُهُ واللهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقينَ لكاذِبونَ﴾ [المنافقون: ١].

● **(ودليل المحبة: قوله تعالى: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دونِ اللهِ أنْداداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللهِ والذينَ آمَنوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]).**

أي: ودليل المحبة وأنها شرط من شروط (لا إله إلاَّ الله) قوله تعالى: ﴿ومِنَ الناسِ..﴾ الآية، يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أنداداً؛ أي: أمثالاً ونظراء، يعبدونهم معه، ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلاَّ هو ولا ضدَّ له ولا ندَّ له ولا شريك معه، فصاروا مشركين كفاراً بتسويتهم الخالق بالمخلوق في المحبة المستلزمة للإجلال والتعظيم. ﴿والذينَ آمنوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾، ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئاً، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه.

فالشاهد من هذه الآية أن المحبة عبادة عظيمة لا يكون المرء مؤمناً إلاَّ بها.

● (**وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذينَ آمَنوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُم عَن دينِهِ فَسَوْفَ يَأْتي اللهُ بِقَـومٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّـونَهُ أَذِلَّةٍ على المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ على الكافِرينَ يُجاهدونَ في سبيلِ اللهِ ولا يَخافونَ لَوْمَةَ لائمٍ . . .﴾ الآية [المائدة: ٥٤]**).

وهٰذه الآية دليل آخر للمحبة، يخبر الله تعالى فيها عن قدرته العظيمة: أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته؛ فإن الله سيستبدل به من هو خير لها منه، وأشدُّ مَنَعة؛ كما قال تعالى: **﴿وإنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لا يَكونوا أَمْثالَكُم﴾** [محمد: ٣٨].

والردَّة أعاذنا الله منها والمسلمين والمسلمات: هي الرجوع عن الحق إلى الباطل، **﴿فَسَوْفَ يَأْتِ اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ﴾**، وهٰذا هو محل الشاهد من هٰذه الآية، وفيها إثبات صفة المحبة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، **﴿أَذِلَّةٍ على المُؤمِنينَ﴾**؛ أي: أهل رحمة ولطف ولين على إخوانهم المؤمنين، **﴿أَعِـزَّةٍ على الكـافِـرينَ﴾**؛ أي: أهل شدة وغلظة على أعدائهم الكافرين، **﴿يُجاهِدونَ في سَبيلِ اللهِ﴾**؛ أي: بأموالهم وأنفسهم لإِعلاء كلمة الله، **﴿ولا يَخافونَ لومةَ لائم﴾**؛ أي: في إقامة شرع الله ونصرة دينه، لا يردُّهم عن ذٰلك رادٌّ، ولا يصدُّهم عنه صادٌّ، **﴿ذٰلِكَ فَضْـلُ اللـهِ يُؤتيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾**.

● (**ومن السنة: ما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه؛ وجد حلاوة الإِيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن**

يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار») .

أي : والدليل من السنة على المحبة ما ثبت في الصحيح ؛ أي : البخاري ومسلم؛ عن أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجيِّ خادم رسول الله ﷺ ، خدمه عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ ، فقال له : «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه» ؛ كما في الصحيح وغيره، وفضائله كثيرة، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة **٩٢هـ**، وقد جاوز المئة رضي الله عنه وأرضاه .

وقوله ﷺ : «ثلاث من كنَّ فيه . . .» الحديث؛ أي : من حصلت له هٰذه الثلاث الخصال المذكورة على التمام ؛ وجد بذٰلك حلاوة حقيقية محسوسة ، لا تشبهها حلاوة ، يجدها مَنْ مَنَّ الله عليه بها في قلبه ، أعظم من حلاوة المطعوم الحلو في الفم ، فإذا ذاق طعمها ؛ حصل له من الأنس واللذة والسرور والغذاء ما يحمله على استلذاذ الطاعات ، وكراهة السيئات ، وتحمل المشقات في رضى رب الأرض والسماوات .

فوا أسفاه من فقدان تلك اللذات! ويا مصيبتاه على قلوبنا الميِّتة التي لم تفكِّر في هٰذه المسَّرات! فضلاً عن أن تحاول وتسعى في نيل تلك الحلاوات والعطيات ؛ فإلى الله نشكوا حالتنا الموحشة ، وقلوبنا المظلمة ، وألسنتنا الواصفة ، وأعمالنا المخالفة .

والكلام في هٰذه اللذة وأحوال أهلها يحتاج إلى بسط طويل ، وبأقلام[١] رجال يوقنون بذٰلك ، ويحسُّون بما هنالك ؛ لكي ينتفع بكلامهم بإذن الله من أراد الله هدايته وسعادته عاجلاً وآجلاً . والله المستعان .

وقد قال بعض العارفين : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه ـ أي :

---

(١) ككتاب «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» للحافظ ابن رجب .

من اللذَّة والنعيم القلبي ـ؛ لجالدونا عليه بالسيوف!

فالله يجبر قلوبنا وقلوب المسلمين برحمته وإحسانه.

والمقصود: أن من حصلت له هٰذه الخصال الثلاث؛ حصل له من الحلاوة بحسب عمله بمقتضاها:

فالأولى: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كائناً من كان، فتستلزم تلك المحبة امتثال الأوامر وترك النواهي، وإلاَّ؛ كانت دعوىً مجرَّدة كاذبة:

وكُلٌّ يَدَّعي وَصْلاً لِلَيْلى ... ولَيْلى لا تُقِرُّ لَهُم بِذاكا

والثانية: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، سواء كان بعيداً أم قريباً، حسن الأخلاق أو سيئها، أحسن إليك أو أساء؛ فالذي يريد الله والدار الآخرة يحب المؤمن، ولو كان فيه ما فيه من الأخلاق السيئة، كل بحسب منزلته، ويبغض الكافر، ولو كان فيه ما فيه من المعاملة الحسنة والأخلاق الجميلة، لكونه غطَّى ذٰلك بالكفر، ولو كان قريباً أو بعيداً، لكن بشرط العدل.

ويأتي الكلام على تفصيل الموالاة والمعاداة في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى على سبيل الاختصار، والله الموفِّق.

الخصلة الثالثة: «أن يكره أن يعود في الكفر... الخ»، فتكون كراهته للكفر والردَّة والعود فيهما؛ ككراهته أن يلقى في النار؛ فيكره الكفر وأهله، ويتبرأ منهما، ويتعلم دينه، ويسأل ربه الذي منَّ عليه بالإسلام أن يثبته عليه في الدنيا والآخرة. والله الموفِّق.

● **(ودليل الانقياد لما دلَّت عليه: قوله تعالى: ﴿وأَنيبوا إِلى رَبِّكُمْ وأَسْلِموا لَهُ...﴾ الآية: [الزمر: ٥٤]).**

أي: ودليل الانقياد لما دلَّت عليه كلمة التوحيد، وأنه شرط من شروطها: قولــه تعــالى: ﴿وأنيبـوا إلى رَبِّكُمْ﴾؛ أي: وأقبلوا إلى ربكم، وارجعـوا إليه بالطاعة، ﴿وأَسْلِموا لَهُ﴾؛ أي: استسلموا له وحده، والإسلام ـ كما تقدم ـ هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له وبالطاعة ـ وهٰذا محل الشاهد ـ والبراءة من الشرك وأهله.

● (وقـولـه تعـالى: ﴿ومَنْ أَحسَنُ دينـاً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]).

أي: ودليل ثانٍ على الانقياد: قوله تعالى: ﴿ومَنْ أَحْسَنُ ديناً﴾؛ أي: لا أحد أحسن ديناً، ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ﴾؛ أي: انقاد وخضع وأخلص عمله لله وحده لا شريك له، ﴿وهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: في ذٰلك باتباع طريق المصطفى ﷺ؛ لأن العمل لا بدَّ له من شرطين، وهما: الإخلاص والمتابعة؛ كما في هٰذه الآية ونحوها.

والشاهد قوله: ﴿أَسْلَمَ﴾ لدلالته على الانقياد.

● (وقـولـه تعـالى: ﴿ومَنْ يُسْلِمْ وَجْهَـهُ إلى اللهِ وهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾ [لقمان: ٢٢]؛ أي: بـ (لا إله إلَّا الله)).

وهٰذه الآية دليل آخر للانقياد، وهي كالتي قبلها، وبيَّن تعالى فيها جزاء من يسلم وجهه له وهو محسن؛ ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثقى﴾؛ أي: فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنه لا يعذبه؛ لأنه استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبَّه ذٰلك بالعروة القوية التي لا تنفصم، وهي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد؛ كما في آية البقرة، وهٰذه العروة الوثقى هي كلمة التوحيد، التي خلق الخلق لأجلها.

والشاهد هنا قوله: ﴿ومَنْ يُسْلِمْ﴾.

● **(وقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنونَ حَتى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تَسْليماً﴾ [النساء: ٦٥]).**

أي: ودليل رابع على الانقياد: قوله تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ**﴾، يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به؛ فهو الحق الذي يجب الانقياد به باطناً وظاهراً، والشاهد قوله: ﴿**ويُسَلِّموا تَسْليماً**﴾؛ أي: إذا حكَّموك؛ يطيعونك في بواطنهم، وينقادون ظاهراً وباطناً، من غير ممانعة ولا منازعة ولا مدافعة.

● **(ومن السنة: قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»، وهٰذا هو تمام الانقياد وغايته).**

أي: ودليل الانقياد من سنة المصطفى ﷺ: قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى...» إلخ.

هٰذا الحديث ساقه الإمام النووي رحمه الله تعالى في «الأربعين» له، وقال: «هٰذا حديث صحيح»،رويناه في كتاب «الحجَّة» بإسناد صحيح، وخرَّجه أيضاً أبو نعيم في «الأربعين» التي شرط في أوَّلها أن تكون من صحيح الأخبار، ورواه الطبراني وغيره.

ولكن ذكر الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» وكذٰلك غيره أن سنده ضعيف.

أما معنى الحديث؛ فصحيح لا إشكال فيه[1]، ويشهد له قوله تعالى:

---

(١) وهنا ينتبه طالب العلم إلى أنه ليس كل ما قيل فيه إنه حديث ضعيف أن معناه لا بدَّ أن يكون كذٰلك، بل ربما كان معناه معمولاً به بإجماع العلماء؛ فتأمل وراجع.

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حتَّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُم. . . ﴾ الآية: [النساء: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وما كانَ لِمُؤمِنٍ ولا مُؤمِنَةٍ إذا قَضى اللهُ ورسولهُ أَمْراً أَنْ يَكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم. . . ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٦]. . . إلى غير ذٰلك من الآيات.

ومن السنة قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين»؛ لأن محبة النبي ﷺ الصادقة تقتضي طاعته وتقديم أمره على هوى النفس، وأن يكون هواها تبعاً لما جاء به، لا لما أرادت واشتهت.

وقوله: «لا يؤمن أحدكم»؛ أي: لا يكون مؤمناً كامل الإيمان حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي ونحو ذٰلك.

ومما يدلُّ على الانقياد وأنه شرط ما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ: أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذٰلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم؛ إلاَّ بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى».

والأحاديث في هٰذا المعنى كثيرة جدّاً.

● **(ودليل القبول: قوله تعالى: ﴿وكذٰلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ في قَرْيَةٍ مِنْ نَذيرٍ إلاَّ قالَ مُتْرَفوها إنَّا وَجَدْنا آباءَنا علىٰ أُمَّةٍ وإنَّا علىٰ آثارِهِم مُقْتَدون . قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدىٰ مِمَّا وَجَدْتُم عَلَيْهِ آباءَكُم قالوا إنَّا بِما أُرْسِلْتُم بِهِ كافِرونَ . فَانْتَقَمْنا مِنْهُم فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبينَ﴾ [الزخرف: ٢٣ ـ ٢٥]).**

أي: ودليل القبول وأنه شرط من شروط لا إلٰه إلاَّ الله قوله تعالى: ﴿وكذٰلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ. . . ﴾ الآيات.

يخبر تعالى في هٰذه الآيات عن الأمم السالفة والقرون الخالية ممن كذَّب رسله ولم يقبلوا منهم الحق، بل استكبروا وامتنعوا واحتجُّوا بالحجَّة الملعونة الداحضة، وهي اقتداؤهم بآبائهم الذين مضوا وأسلافهم الذين خلوا، واتِّباعهم لآثارهم على أمة ـ وهي الدين ـ لكن بلا دليل ولا برهان، ولو جاءتهم الرسل بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة، وعلموا وتيقنوا صحَّة ما جاؤوا به؛ لما قبلوا منهم؛ لشقاوتهم وسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله، فكان جزاؤهم انتقام الله تعالى منهم بأنواع العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

فالشاهد بيان أن القبول شرط؛ لأنهم ردُّوا الحق ولم يقبلوه، فأحلَّ الله بهم عقابه.

والفرق بين القبول والانقياد ـ والله أعلم ـ أن القبول أعم من الانقياد، فكل منقاد قابل، وليس كل قابل منقاداً، أو أن الانقياد هو الاتباع بالأفعال، والقبول إظهار صحَّة ذٰلك بالقول، ويلزم منهما جميعاً الاتباع، فالقبول قبل الانقياد؛ لأنه لا يصحُّ الانقياد حتى يقبل، فإذا قبل؛ وجب عليه الانقياد لما دلَّت عليه كلمة التوحيد.

وعلى كل حال فهما شرطان لهٰذه الكلمة العظيمة. والله المستعان.

● **(وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم كانوا إِذا قيلَ لَهُم لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرونَ . ويَقولونَ أَئِنَّا لتارِكوا آلِهَتنا لِشاعِرٍ مَجْنونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦]).**

أي: ودليل آخر على القبول: قوله تعالى: **﴿إِنَّهُم﴾**: الضمير يعود على الكفَّار أهل النار الذين تقدمت آيات في شأنهم وحالهم، **﴿كانوا﴾**؛ أي: في الدنيا، **﴿إِذا قيلَ لَهُم لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرونَ﴾**؛ أي: عن قولها كما يقولها المؤمنون، والكبر: بطر الحق ـ أي: دفعه وردُّه ـ وغمط الناس ـ أي: احتقارهم وازدرائهم ـ. **﴿ويقولونَ أَئِنَّا لَتارِكو آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنونٍ﴾**؛ أي: أنحن نترك

عبـادة آلهتنـا وآلهـة آبـائنا لأجل قول هٰذا الشاعر المجنون؟! يعنون الصادق المصدوق رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى تكذيباً لهم وردّاً عليهم: ﴿بَلْ جَاءَ بِالحَقِّ وصَدَّقَ المُرْسَلينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

فالشاهد أنَّ كفرهم بسبب ردِّهم للحق وعدم قبولهم له.

● **(ومن السنة: ما ثبت في الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثيـر أصاب أرضاً: فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثيـر، وكـانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ؛ فذٰلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذٰلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»).**

أي: والدليل على القبول من السنة ما ثبت في الصحيح ـ أي: «صحيح» البخاري ومسلم ـ عن أبي موسى، واسمه عبد الله بن قيس الأشعري، صحابي مشهور، كان حسن الصوت بالقرآن جدّاً، قال له النبي ﷺ: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»، متفق عليه، مات رضي الله عنه سنة ٥٠هـ، وقيل غير ذٰلك.

وهٰـذا الحـديث حديث عظيم، له شأن كبير؛ فقد اشتمل على جملة أصنـاف النـاس، وقسَّمهم إلى ثلاثـة أقسـام؛ فالقسمـان الأولاَّن محمودان، وأحدهما أفضل من الآخر، والثالث مذموم.

فالأول: من قبل الحق وعمل به وعلَّمه غيره؛ فهٰذا أعظم الناس أجراً، وهو من فقه في دين الله فعلم وعمل وعلَّم غيره، وهم أهل الرواية والدراية؛ أي:

الحفظ والفقه.

والقسم الثاني: من لهم نصيب من الحفظ مع العمل دون الفقه، وهم أهل الرواية، فنفع الله بهم الناس بتبليغ العلم؛ دون استنباط أحكامه واستخراج كنوزه وفوائده.

والقسم الثالث: أقماع القول الذين ليسوا بأهل رواية ولا دراية ولا عمل، إن هم إلَّا كالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلاً.

فالشاهد من هٰذا الحديث أن من لم يقبل الحق بالكليَّة، بل أعرض عنه، وتركه، ولم يعبأ به، ولم يهتم لدينه ومصيره بعد قيام الحجة عليه؛ فهو كافر، خالد مخلد في النار والعياذ بالله.

ولا يفهم من هٰذا أن من لم يكن من أهل الرواية والدراية أنه كافر، بل المقصود أن من لم يقبل دين الله تعالى، بل ردَّه وأعرض عنه وعن تعلمه بالكليَّة؛ فهو كذٰلك، أما المسلم؛ فلو لم يكن من أهل الرواية والدراية، وإنما معه من العمل والإيمان ما يصحح به إسلامه؛ فهو في الجنة إن مات على الإسلام، وإن كان عليه ذنوب؛ فهو تحت المشيئة؛ كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

فتبين مما تقدم أن القبول الذي ضده الردُّ شرط من شروط كلمة التوحيد، فإذا انتفى الشرط؛ انتفى المشروط.

والأحاديث الصحيحة في ذٰلك كثيرة معروفة، من ابتغاها وجدها، وبهٰذا الشرط تمت الشروط السبعة، ولله الحمد والمنَّة.

●●●●●



نواقض الإسلام

● **(اعلم أن نواقض الإسلام عشرة).**

النواقض: جمع ناقض. والنقض في الأصل: حل المبرم وإفساده، من نقضت الشيء إذا أفسدته.

فنواقض الإسلام: هي مفسداته ومبطلاته، التي متى طرأت عليه؛ أفسدته، وأحبطت العمل، وصار صاحبه من المخلدين في النار والعياذ بالله؛ كالحدث، إذا دخل في الطهارة؛ أفسدها وأبطلها.

و (اعلم): كلمة يؤتى بها للأمور المهمة، وما ذكره المؤلف هنا حقيق بأن يهتم به غاية الاهتمام.

فيجب على كل مكلف تعلمها؛ ليحذر منها، ويأمن الوقوع فيها بإذن الله تعالى:

والضِّدُّ يُظْهِرُ حسْنَهُ الضِّدُّ وبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأشْياءُ

وإلَّا؛ فالمسلم قد يقع فيها وهو لا يشعر؛ كما هو معلوم من كثير ممن يدَّعي الإسلام، خصوصاً في هٰذا الزمان الذي قلَّ فيه العلم الصحيح النافع، وكثر فيه الجهل؛ فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

وقـول الشيخ رحمه الله: «إنها عشرة»: مراده: المجمع عليها، وإلاَّ؛ فهي أكثر من ذٰلك؛ كما يذكره الفقهاء في كل مذهب في باب حكم المرتدِّ، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، نسأل الله العافية والسلامة لنا وللمسلمين.

● **(الأول: الشرك في عبادة الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دونَ ذٰلكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].**

ابتـدأ رحمه الله تعالى هٰذه النواقض العشرة بالشرك؛ لأنه أعظم ذنب عصي الله به، وهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظنٍّ بربِّ العالمين؛ فهو أبطل الباطل، وأظلم الظلم، وأقبح المعاصي؛ لأنه يقتضي تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه، سبحانه وتعالى.

وتقدم تعريف الشرك، وأنه مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، ويأتي الكلام عليه وعلى أنواعه في محلِّه إن شاء الله تعالى.

وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾؛ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ﴿**ويَغْفِرُ ما دونَ ذٰلِكَ**﴾؛ أي: من الذنوب، ﴿**لِمَنْ يشاءُ**﴾؛ أي: من عباده المسلمين.

فدلَّت هٰذه الآية على أن الشرك الأكبر من نواقض الإسلام؛ لأن صاحبه لا يُغفر له، بل هو خالد مخلد في نار جهنم، والعياذ بالله.

● **(وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليهِ الجَنَّةَ ومَأْواهُ النارُ وما للظَّالِمينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]).**

بيَّن تعالى أنه من يشرك به، فيعبد معه غيره، كائناً من كان؛ لأن العبادة حقُّه تعالى، ولا تنبغي إلاَّ له وحده لا شريك له؛ ﴿**فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ**﴾؛ أي: فلا يدخلها حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط، ﴿**ومَأْواهُ النَّارُ**﴾؛ أي: خالدٌ

مخلدٌ فيها، ﴿وما للظَّالِمينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾؛ أي: وما لهم عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هم فيه، وسمَّى الله المشركين ظالمين؛ لأن الشرك ظلم، والظلم وضع الشيء في غير موضعه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

● **(ومنه الذبح لغير الله؛ كمن يذبح للجنِّ أو للقبر).**

أي: ومن الشرك في عبادة الله تعالى الذبح لغيره تعالى؛ كمن يذبح للجنِّ أو للقبر.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ وَمَماتي للهِ رَبِّ العالمينَ . لا شَريكَ لَهُ﴾ الآية: [الأنعام: ١٦٢].

ومن السنة: ما ثبت في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ: أنه قال: «لعن الله من ذبح لغير الله».

وذلك لأن الذبح عبادة من أجل أنواع العبادات، فإذا ثبت أنه عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك أكبر ناقل عن الملَّة.

وإنما خصَّ الشيخ الذبح بالذكر هنا؛ لوجود ذلك في زمانه بكثرة، فنبه عليه للتحذير منه، وكذلك في زماننا هذا من كثير ممن يدعي الإسلام في البلاد المجاورة وغيرها، بل إنه وجد من بعض الجهلة في هذه البلاد من يذبح للجنِّ عند سكنى المنزل ونحو ذلك، وهذا شرك أكبر، وفاعله خارج عن الإسلام، داخل في دائرة الكفر والضلال، فنسأل الله السلامة لنا وللمسلمين.

● **(الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعاً).**

وهذا الناقض من أكثر النواقض وقوعاً، وأعظمها خطراً على قليل العلم

والبصيرة؛ لأن كثيراً ممّن يتسمى باسم الإسلام وهو لا يعرف الإسلام ولا حقيقته قد جعل بينه وبين الله تعالى وسائط يدعوهم لكشف الملمات وإغاثة اللهفات وتفريج الكربات، وهٰؤلاء كفَّار بإجماع المسلمين، وهم بزعمهم الفاسد لا يسألون الله مباشرة تعظيماً منهم لله بزعمهم وتحقيراً لأنفسهم، ويقولون: إن الله لا بدَّ له من واسطة بيننا وبينه تقربنا إليه وترفع حوائجنا إليه؛ كما أن الملك من ملوك الدنيا لا يسأل إلا بواسطة الحجاب والوزراء، والله أولى بذٰلك بزعمهم من الملوك؛ فهم والعياذ بالله شبهوا الله الكامل العظيم بالمخلوق الناقص العاجز المحتاج، ومن شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، ولكن عقولهم فسدت، وفطرهم انعكست، وزين لهم الشيطان ذٰلك؛ فأجابوه بلا دليل ولا حجَّة ولا برهان، ﴿قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلى اللهِ تَفْتَرونَ﴾ [يونس: ٥٩]؟! بل بمجرَّد الرأي الفاسد، والعقل الناقص، واتباع الهوى، ﴿قُلْ هاتوا بُرْهانَكُم إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وإذا حذرتهم ونهيتهم؛ قالوا: تنقصت الصالحين، ولم تعرف قدرهم، ﴿أُولئِكَ الَّذينَ يدعونَ يَبْتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ ويَرْجونَ رَحْمَتَهُ ويَخافونَ عَذابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وهٰذا هو شرك الكفَّار بعينه في زمن النبي ﷺ؛ كما قال الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ما نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبونا إِلى اللهِ زُلْفى﴾ [الزمر: ٣]، ﴿ويَقولونَ هٰؤلاءِ شُفَعاؤنا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨].

والآيات والأحاديث في بطلان قولهم كثيرة جدّاً، بل ما أنزل الله الكتب وأرسل الله الرسل؛ إلَّا لبيان بطلان الشرك، وللدعوة إلى التوحيد.

وقد فنَّد شبههم وكشف ضلالهم شيخ الإسلام الإمام المجدد رحمه الله تعالى في كتابه النفيس الذي نفع الله به المسلمين «كشف الشبهات»، الذي

قال فيه أحد العلماء وفي أمثاله: «لو يطيعني طلبة العلم؛ لجعلوه ورداً مع وردهم، يقرؤونه صباحاً ومساءً». فالله المستعان.

فعليك يا طالب الحق به؛ ففيه النور والهدى، والبرهان والشفاء.

والمقصود: أن من جعل بينه وبين الله سبحانه وسائط في جلب المنافع، ودفع المضار من مَلَكٍ أو نبي أو قبر أو غير ذٰلك أو يذبح لهم أو يتوكل عليهم، أو يسألهم قضاء الحوائج، أو يطلب منهم المدد والشفاعة، أو أي نوع من أنواع العبادة؛ فقد كفر إجماعاً».

● (الثالث: من لم يكفِّر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كَفَر).

أي: الناقض الثالث من نواقض الإسلام: من لم يكفِّر المشركين الذين كُفْرهم وشركهم ظاهر بيِّن؛ فهو كافر؛ لأن الله تعالى كفَّرهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ فلا يحكم بإسلام المرء حتى يكفِّر المشركين، فإن شكَّ وتردَّد أو قال: ما عليَّ منهم؟ بعد تبيين كفرهم له؛ فهو كافر مثلهم.

أما من صحح مذهبهم، ونافح عن منهجهم؛ فهٰذا أشدُّ، وكفره أعظم. نسأل الله العافية.

وهٰذا الناقض قلَّ من ينتبه له؛ فقد يقع فيه المرء وهو لا يشعر، أو لا يكفِّر من يقع فيه، فيكون مثله إذا قامت عليه الحجَّة.

ولا يعـذر أحد بالجهل بما يجب عليه تعلمه إذا كان قادراً على ذٰلك، ولكن لما أعرض كثير من الناس عن تعلم دينهم والاعتناء بالمهم من ذٰلك أشد الاعتناء؛ وقعوا في بعض هٰذه النواقض وهم لا يشعرون، ويحسبون أنه يكفيهم التسمِّي باسم الإسلام دون معرفة حقيقته والعمل به ظاهراً وباطناً.

ويدخل في قوله: «أو صحح مذهبهم»: كل من استحسن شيئاً ينافي دين الإسلام من يهوديَّة أو نصرانيَّة أو اشتراكيَّة أو علمانيَّة أو غيرها من فرق الكفر والضلال.

والآيات والأحاديث الدالة على ما تقدم كثيرة واضحة لمن كان عنده أدنى علم وبصيرة. فالله المستعان.

● **(الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه؛ فهو كافر).**

هٰذا الناقض يشمل أمرين:

الأول: من اعتقد ـ أي مجرَّد اعتقاد فقط بدون فعل ـ أن غير هدي النبي ﷺ كائناً من كان أكمل من هديه ﷺ؛ فهو كافر؛ فكيف إذا فعل ذٰلك وطبَّق هدي أهل الضلال؟!

والهدي: معناه: الطريقة والسيرة؛ فسيرة النبي ﷺ أحسن من سيرة كل أحد، وطريقته أكمل من طريقة كل أحد، ويدخل في هديه سننه وأخلاقه ونحو ذٰلك؛ فهو ﷺ الذروة العليا في كمال الهدي والسيرة، فمن اعتقد أن هناك من هو أكمل من هدي النبي ﷺ؛ فهو كافر جاهل خبيث أضل من حمار أهله.

فأعداؤه ﷺ في زمنه وبعد زمنه قد شهدوا له بالشرف والصدق والأمانة والأخلاق والسيرة المرضية، وإنما عابوا عليه ونقموا منه تسفيه أحلامهم وعيب آلهتهم بزعمهم ذٰلك، وإلاَّ؛ فالنبي ﷺ جاءهم بالحق والنور المبين من عند رب العالمين، وبالدين الصحيح، الكفيل لمن تمسك به بالسعادة والخير في الدنيا والآخرة.

الأمر الثاني: من اعتقد أن حكم غيره أحسن من حكمه مجرَّد اعتقاد، ولو لم يفعل؛ فهو كافر، شاء أم أبى؛ كالذي يفضل حكم الطواغيت لعنهم الله تعالى على حكمه؛ فهو كافر بلا شك، فمن اعتقد أن حكم أحد من البشر كائناً من كان أحسن من حكم المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحيٌ يوحى؛ فقد كفر كفراً أكبر يخرجه من الإسلام بالكليَّة؛ كمن يفضل القوانين الوضعية على حكم الله ورسوله؛ فهو كافر.

ويدخل في هٰذا من يقول: إن الحكم بما أنزل الله تعالى لا يصلح لزماننا الحديث، ولا يليق إلَّا بالزمن الأول! فمن قال هذا أو اعتقده مجرَّد اعتقاد، فضلاً عن العمل به؛ فهو كافر، خارج عن دين الإسلام؛ لأن الذي أنزل هٰذه الأحكام هو الله الذي لا إله إلا هو العليم الحكيم العظيم، الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، سبحانه وتعالى؛ فكيف يظن عاقل فضلاً عن مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكون حكم الله ورسوله لا يناسب كل عصر وكل وقت وكل مكان، والذي أنزله عليم بمصالح خلقه، ومحيط علمه بكلِّ شيء، وقد علم كل شيء كائن إلى يوم القيامة وكتبه قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؟!

بل والله الذي لا إلٰه إلَّا هو؛ إنه لا يكون أمن ولا خير ولا سعادة ولا استقرار ولا تمكين؛ إلَّا بالعمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في كل شيء، وليس الخبر كالعيان.

فانظر إلى ما حلَّ بمن رغب عن حكم الله ورسوله إلى حكم بشرٍ ناقصٍ مثله لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولا ضرّاً من المصائب والعقوبات والفوضى والظلم وعدم الأمن والراحة.

وقد اعترف كثير منهم بأنه لا تستقيم أمورهم ولا تحصل راحتهم ولا تَقِلُّ

السـرقات والفواحش والدمار والفساد والأمراض الفتاكة والعلل المستعصية إلاَّ بالـرجـوع إلى حكم الله الحكيم العليم، وحكم رسـوله المصطفى الكريم، والعمل بالكتاب والسنة؛ فالحمد لله ربِّ العالمين.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في آخر الكتاب زيادة كلام على هٰذا عند ذكر رؤوس الطواغيت الخمسة الملعونين، ومنهم الذي يحكم بغير ما أنزل الله. والله المستعان.

● **(الخامس: من أبغض شيئاً ممَّا جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به؛ كفر).**

وهٰـذا الناقض أيضاً من أنواع النفاق الاعتقادي التي صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار؛ كما يأتي في ذكر النفاق وأنواعه إن شاء الله تعالى.

فمن أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ـ والقرآن من باب أولى ـ؛ كمن يبغض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يبغض أهله لأجله لا لشيء آخر، أو غير ذٰلك مما جاء في الكتاب والسنة؛ فهو كافر.

وقوله: «ولو عمل به كفر» ـ وهٰذا أشد وأعظم ـ؛ أي: ولو كان عاملاً بما يبغضـه مما جاء به النبي ﷺ؛ فلا ينفعه ذٰلك؛ كمثل من يبغض سنيَّة إعفاء اللحية وهو يعفيها، فيكون كافراً والعياذ بالله؛ لأن البغض ونحوه شيء كامن في القلب، لا حيلة فيه، نسأل الله العافية، وكمن يبغض ويكره تحريم الربا والزنى والغناء ونحو ذٰلك، ولو كان لا يفعلها؛ فهو كافر، وجميع ما جاء به رسول الله ﷺ ليس من تلقاء نفسه، بل هو وحيٌّ يوحى.

وقد قال الله تعالى: **﴿والذينَ كَفروا فَتَعْساً لَهُمْ وأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ . ذٰلِكَ بأَنَّهُم كَرِهوا ما أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾** [محمد: ٨ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ المُجْرِمينَ في عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدونَ. . .﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ جِئْناكُم بِالحَقِّ ولٰكِنَّ أَكْثَرَهُم لِلْحَقِّ كارِهون﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٨].

ولكن لا يلزم مما تقدم أن من ارتكب معصية أو كبيرة يكون مبغضاً لما جاء به الرسول ﷺ، فيستحق هٰذا الحكم؛ فهٰذا إلزام باطل؛ فليس كل من فعل منهيّاً عنه أو ترك مأموراً به يكون مبغضاً، بل قد يكون عن جهل أو تساهل أو غرور أو غلبة شهوة أو كسل أو شبهة أو نحو ذٰلك؛ فقد يكون عند مرتكب الكبيرة من الإيمان والاعتراف والانكسار والخوف والرجاء لرحمة الله والطمع في مغفرته ما ليس عند تاركها ممن قد يعتريه عجب واغترار بعمله ووثوق بسعيه وازدراء لغيره. ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

ولا يحمل هٰذا الكلام على التهاون بالمعاصي، بل يجب الحذر منها، واجتنابها، والتوبة، والندم، والاستغفار؛ لأن المعاصي سبب الغضب والعذاب وسوء الخاتمة.

كما أنه يجب على من هداه الله ومَنَّ عليه بفضله وإحسانه، أن يحمد الله تعالى ويشكره، ويسأله العافية وحسن الخاتمة؛ فإن الأعمال بالخواتيم، ولا يتشمت بإخوانه؛ فيعافيهم الله ويبتليه، بل يسأل الله أن يعافيهم ويهديهم ولا يبتليه.

ثم إنه لا يخفى أن معتقد أهل السنة والجماعة أن العاصي ومرتكب الكبيرة لا يكفَّر، ولا يقال: إنه بمنزلة بين الإسلام والكفر. . . ونحو ذٰلك من أقوال أهل البدع، بل يقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو: مؤمن ناقص الإيمان؛ كما في «العقيدة الواسطية» ونحوها، بل الأخوَّة الإيمانيَّة ثابتة مع المعاصي.

وصاحب المعاصي إن مات على التوحيد ولم يتب من ذنوبه؛ فهو تحت المشيئة: إن شاء الله؛ عذَّبه بعدله على قدر ذنوبه، وإن شاء؛ عفا عنه ولم

يعذِّبه، ولكن مآله سواء عذِّب أو لم يعذَّب إلى الجنة، ولا يخلَّد في النار موحِّد ألبتَّة؛ فتنبه.

والمقصود أن من أبغض شيئاً ممَّا جاء به الرسول ﷺ؛ فإنه كافر، ولو كان عاملاً بما أبغضه.

فهٰذا الناقض مخوف جدّاً، فيجب على المسلم الناصح لنفسه الحذر منه، وأن يفتش نفسه ما دام على قيد الحياة، قبل أن يأتيه الأجل؛ فلا ينفعه حينئذٍ الندم، فنسأل الله لنا وللمسلمين السلامة.

● **(السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه؛ كَفَر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وآياتِهِ ورَسولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِئونَ . لا تَعْتَذِروا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمانِكُم﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٥])**.

قال شيخ الإسلام الإمام المجدِّد رحمه الله تعالى في كتابه المفيد «كتاب التوحيد» الذي لم يؤلف على نمطه مثله ولم يسبق إليه: «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول».

قال الشيخ المجدِّد الثاني عبد الرحمٰن بن حسن في «فتح المجيد»: «أي: فقد كفر».

ثم ذكر الشيخ الإمام هٰذه الآية الكريمة، وعَقَّبها بقوله: «عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة؛ دخل حديث بعضهم في بعض: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرَّائنا هٰؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القرَّاء! فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق؛ لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذٰلك الرجل إلى رسول الله ﷺ

وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنَّا الطريق. قال ابن عمر رضي الله عنهما: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإنَّ الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنَّا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿**أبالله وآياته ورسوله كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئونَ . لا تَعْتَذِروا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيْمانِكُم**﴾ [التوبة: ٦٤ ـ ٦٥]؛ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه» اهـ.

فقولهم: «إنما كنَّا نخوض ونلعب»؛ أي: إننا لم نقصد حقيقة الاستهزاء، وإنما قصدنا الخوض واللعب نقطع به عنَّا الطريق، ومع ذٰلك كفَّرهم الله جلَّ وعلا، مع أنهم كانوا من قبل ذٰلك مؤمنين.

وأما قول من قال: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم؛ فقد ردَّه شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى كما في «فتح المجيد».

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى في «كشف الشبهات»: «ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولهما: قوله تعالى: ﴿**لا تَعْتَذِروا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمانِكُم**﴾ [التوبة: ٦٥]؛ فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح؛ تبين أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مالٍ أو جاهٍ أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها» اهـ.

وقد قسَّم غير واحد من أهل العلم منهم: الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب رحمهم الله تعالى هٰذا الناقض إلى قسمين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح؛ كالذي نزلت فيه الآية، وهو قولهم: «ما رأينا مثل قرَّائنا هٰؤلاء أرغب بطوناً...» إلخ، ونحو ذٰلك من أقوال المستهزئين؛

كمن يستهزىء بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من أجل ذٰلك، وكالاستهزاء بالمصلين لأجل صلاتهم، وكالاستهزاء بمن أعفى لحيته لأجل إعفائها. . . وهلمَّ جرّاً؛ فكل هٰذا وما شابهه كفر مخرج من الملَّة.

والثاني: غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له؛ مثل: الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومدِّ الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهٰذا أيضاً كفر.

فيجب على المسلم أن يحذر من ذٰلك أشد الحذر، وأن يخاف منه على نفسه.

ويجب على كل مسلم أن يصارم المستهزئين بدين الله وبما جاء به الرسول ﷺ، ولو كانوا أقرب قريب، وأن لا يجالسهم؛ لئلَّا يكون منهم؛ كما قال تعالى: **﴿وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُم في الكِتابِ أَنْ إذا سَمِعْتُم آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها ويُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدوا مَعَهُم حَتَّى يَخُوضوا في حَديثٍ غَيْرِهِ إنَّكُم إذاً مِثْلُهُم﴾** [النساء: ١٤٠].

فمن سمع آيات الله يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها وهو جالس معهم مع رضاه بالجلوس معهم؛ فهو مثلهم في الإثم والكفر والخروج عن الإسلام.

وقوله: «أو ثوابه أو عقابه»؛ أي: من استهزأ بشيء مما جاء الدين به من ثواب بعض الأعمال أو العقاب على بعض الأفعال؛ كما يتلفظ بذٰلك بعض المغرورين المتهتكين الجاهلين؛ فهٰذا كفر عظيم. فنعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

تنبيه: كل ما تقدم من ذكر كفر من فعل شيئاً ممَّا ذكر هنا ونحوه إنما هو لبيان حكم ذٰلك والتحذير منه، وأنه كفر مخرج من الإسلام، لا أنه يطلق على أحد معين أنه كافر، ولو صدر منه شيء محتمل لما ذكرنا؛ لأن إطلاق الكفر على

المسلم بمجرَّد شيء محتمل أمر عظيم وخطر كبير؛ فلا بدَّ لمن سمع مثل ذٰلك من أحد أن يتثبت ويراجع العلماء المحققين بعد بذل النصيحة والتخويف لمن صدر منه ذٰلك، أمَّا كون المرء يطلق الكفر على المسلم، وليس عنده علم وبصيرة، ولم يراجع العلماء المحققين؛ فهٰذا أتي من قبل جهله، وعليه وعيد شديد؛ كما في «الصحيحين» عن أبي ذر رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ دعا رجلاً بالكفر، أو قال: يا عدوَّ الله! وليس كذٰلك؛ إلَّا حار عليه»؛ أي: رجع عليه.

فينبغي للمسلم أن ينتبه لهٰذا، وإذا سمع أو بلغه عن أحد شيئاً ممَّا تقدم ونحوه؛ فعليه أن ينصحه ويخوفه بالله، ويخبره أن كلامه أو فعله خطير جدّاً، ويخشى على مرتكبه من الكفر الأكبر، فإن قبل؛ فالحمد لله، وإن أصرَّ وعاند؛ فيراجع العلماء المحققين، وبذٰلك تبرأ ذمته. والله الموفِّق.

● **(السابع: السحر: ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به؛ كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]).**

أي: الناقض السابع من نواقض الإسلام العشرة: السحر.

وهو في اللغة: عبارة عمَّا خفي ولطف سببه، ومنه قول العرب في الشيء إذا كان شديداً خفاؤه: أخفى من السحر. وسُمِّي السَّحَرُ سَحَراً؛ لأنه يقع خفيّاً آخر الليل. وفي الشرع: عُقَد ورقى يَتَوَصَّل بها الساحر إلى استخدام الشياطين لتضرَّ المسحور، وقيل في تعريفه غير ذٰلك؛ لاختلاف أنواعه.

والسحر له حقيقة بالإجماع لأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وخالف في ذلك المعتزلة وأشباههم من أهل البدع وغيرهم.

ومن أنواع السحر: الصرف: وهو صرف الرجل عمَّا يهواه؛ كصرفه مثلاً

عن محبَّة زوجته إلى بغضها. ومن أنواعه: العطف، وهو عملٌ سحريٌ كالصرف، ولكنه يعطف الرجل عمَّا لا يهواه إلى محبته بطرق شيطانية. وكل ذٰلك كما قال تعالى: **﴿وما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلَّا بإِذْنِ اللهِ﴾**.

والسحر محرَّم في جميع شرائع الرسل، فمن فعله أو رضي به؛ كفر؛ لأن الراضي كالفاعل.

والدليل قوله تعالى: **﴿وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يَقولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُر﴾**.

فدلَّت هٰذه الآية على كفر الساحر، وهٰذا هو مذهب الإمام أحمد ومالك وأبي حنيفة، وهو قول الجمهور، وذهب الشافعي إلى أنه إذا تعلَّم السحر؛ يقال له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يستوجب الكفر؛ مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب وأنها تفعل ما يطلب منها؛ فهو كافر، وإن كان لا يصل إلى حد الكفر واعتقد إباحته؛ فهو كافر؛ لاستحلاله المحرَّم، وإلَّا فلا.

وراجع على هٰذه المسألة ونحوها مما يتعلق بالسحر وقتل الساحر «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» للشيخ الإمام عبد الرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام رحمهم الله تعالى؛ فقد أجاد وأفاد.

والمقصود هنا أن السحر ناقض من نواقض الإسلام، فمن فعله أو رضي به؛ كفر.

● **(الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللهَ لا يَهْدي القَوْمَ الظَّالِمينَ﴾ [المائدة: ٥١]).**

أي: الناقض الثامن من نواقض الإسلام؛ مظاهرة المشركين.

والمظاهرة: هي المعاونة والمناصرة، فمن ظاهر المشركين وأعانهم على المسلمين؛ فهو كافر خارج عن دين الإسلام والعياذ بالله.

وهٰذا الناقض لا يصدر إلَّا من مسلم في الظاهر، خبيث في الباطن، من أهل النفاق والشر، أو من شخص لا يعرف دينه على الحقيقة، وفي قلبه حقد على المسلمين وعداوة، ومحبة لأعداء الدين وصداقة، وإلَّا؛ فإن ذٰلك لا يصدر من مسلم عنده أدنى إيمان وعلم ومحبَّة للإسلام وأهله. فالله المستعان.

وإعانة الكفَّار تحصل بكل شيء يستعينون به ويتقوون به على المسلمين، فمن فعل ذٰلك؛ صار كافراً مرتدّاً، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم﴾ أيها المؤمنون ﴿فإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللهَ لا يَهْدي القومَ الظَّالمينَ﴾.

وقد تقدم أن المرء لا يكون مسلماً إلَّا إذا تبرأ من الشرك وأهله، فإذا كان ذٰلك كذٰلك؛ فكيف إذا ناصر أهل الشرك وأعانهم على المسلمين. نسأل الله العافية.

وقوله: «على المسلمين»؛ أي: لا على المشركين، فمن ظاهر المشركين على المشركين؛ فقد ارتكب أمراً عظيماً ومعصية كبيرة؛ إلَّا أنَّ ذٰلك ليس من نواقض الإسلام؛ فتأمل.

وبسط هٰذه المسألة ونحوها مذكور في تآليف من صنَّف في هٰذا الشأن، فمن ابتغاه؛ وجده.

● **(التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام؛ فهو كافر).**

وهٰذا الناقض ظاهر واضح والعياذ بالله، وكفر معتقده أظهر من الشمس في وسط النهار، والأدلَّة على ذٰلك من الكتاب والسنة كثيرة جدّاً، أشهر من أن

تذكر، وأكثر من أن تحصر، لا تخفى إلاَّ على من أعمى الله بصيرته وطمس على قلبه.

فمن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج ـ أي: له أن يخرج ـ عن شريعة محمد ﷺ، أو ظنَّ الاستغناء عنها، أو رغب في الخروج عنها؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

وهٰذا الناقض إنما يعتقده غلاة الصوفية وأشباههم، الذين ضحك عليهم الشيطان، وخدعهم، وزيَّن لهم سوء أعمالهم، فأطاعوه واتبعوا أهواءهم، فهم بجهلهم يجوِّزون لمن حصلت له بزعمهم مرتبة العلم والمعرفة الخروج عن الشريعة، ويسقطون عنه التكاليف، وهٰذا كفر وخروج عن الإسلام.

وقد قال العلاَّمة ابن القيِّم رحمه الله تعالى في «نونيته»:

فَالكُفْرُ لَيْسَ سِوى العِنادِ وَرَدِّ ما ... جاءَ الرَّسولُ بِهِ لِقَوْلِ فُلانِ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ هٰكذا دونَ التي ... قَدْ قالَها فَتَبوءَ بِالخُسْرانِ

فإذا كان ردُّ ما جاء به الرسول ﷺ كفراً؛ فكيف بالخروج عن شريعته بالكليَّة؟!

وأما احتجاجهم بالخضر، وأنه وَسِعه الخروج عن شريعة موسى عليه السلام؛ فهٰذا دليل على جهلهم وقلَّة معرفتهم؛ فإنه لا يخفى على من عنده أدنى علم وبصيرة أن رسالة محمد بن عبد الله ﷺ عامة لجميع الثقلين إلى يوم القيامة:

كما قال تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رسولُ اللهِ إِليكُم جميعاً...﴾ الآية [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وما أَرْسَلْناكَ إلَّا رَحْمةً للعالمينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿تَبارَكَ الذي نَزَّلَ الفُرْقانَ علىٰ عَبْدِهِ لِيَكونَ للعالمينَ نذيراً﴾ [الفرقان: ١].

وكما ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ: أنه قال فيما فضَّله الله به على الأنبياء: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

فدعوة محمد ﷺ شاملة لجميع العباد، ليس لأحد الخروج عن متابعته وطاعته، ولا الاستغناء عن رسالته، أما رسالة المرسلين قبله؛ فهي خاصة إلى قومهم.

وموسى عليه السلام لم يبعث إلى الخضر عليه السلام، ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته، بل قد ثبت في «الصحيحين» أن الخضر قال لموسى: «يا موسى! إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه»، فدلَّ هٰذا الحديث على أن الخضر نبي يوحى إليه؛ كما اختاره كثير من أهل العلم، وقرَّره غير واحد من المحققين، ويدلُّ لذلك ظاهر القرآن، فتبين أن الخضر لا يلزمه اتباع شريعة موسى عليهما السلام؛ فالاحتجاج به على جواز الخروج عن شريعة محمد ﷺ باطل ظاهر البطلان.

ثم إنه لا يخفى أن الله تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء عليهم السلام بأنهم إن أدركوا نبينا محمداً ﷺ أن يتابعوه وينصروه؛ كما قال تعالى: ﴿وإذ أَخذَ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لما آتَيْتُكُم مِنْ كِتابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُم رسولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُم وأَخَذْتُم على ذٰلِكُم إِصْري قالوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدوا وأَنا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فإذا كان الأنبياء الكرام عليهم السلام يجب عليهم ويلزمهم اتباع نبينا محمد ﷺ إن أدركوه؛ فكيف بمن هو دونهم من العلماء والعباد وسائر الثقلين؟!

فالله المستعان.

وقد أطال الكلام في هٰذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في كتاب التصوف من «الفتاوى»، فمن أحبَّ الزيادة؛ فليرجع إليه.

● (العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى؛ لا يتعلمه، ولا يعمل به. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنها إِنَّا مِنَ المُجْرِمينَ مُنْتَقِمونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هٰذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف؛ إلَّا المكره.

وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً.

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه).

وهٰذا الناقض آخر نواقض الإسلام العشرة.

والمراد بالإعراض عن دين الله؛ أي: عما يجب على كل مكلف بعينه تعلمه والعمل به، وهو معرفة أصول الدين وما لا يسع المسلم جهله، أما معرفة تفاصيل الدين؛ فليس ذٰلك المراد هنا، وإن كان مذموماً؛ لأن معرفة تفاصيل الدين ونحو ذٰلك فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

وأما قوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها﴾**؛ أي: لا أظلم ممن ذكَّره الله بآياته وبيَّنها له ووضَّحها ثم بعد ذٰلك تركها وجحدها وأعرض عنها، وتناساها كأنه لا يعرفها، **﴿إِنَّا مِنَ المُجْرِمينَ مُنْتَقِمونَ﴾**؛ أي: سأنتقم ممن فعل ذٰلك أشد الانتقام، والعياذ بالله.

وما أكثر المعرضين في هٰذا الزمان عن تعلم ما يجب عليهم من دينهم،

والعمل به، إما ظاهراً أو باطناً، فيقع أحدهم في الشرك الأكبر والكفر والنفاق، فضلاً عن الحرام، وهو لا يشعر.

فنسأل الله تعالى الهداية والعافية في الدنيا والآخرة لنا وللمسلمين، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

وأيضاً من الأدلَّة على ما تقدم قوله تعالى: ﴿**والذينَ كَفَروا عَمَّا أُنْذِروا مُعْرِضونَ**﴾ [الأحقاف: ٣].

فدلَّت هٰذه الآية على كفر المعرض عن الدين، وسيأتي زيادة كلام على ذٰلك عند ذكر الكفر الأكبر وأنواعه إن شاء الله.

ثم ختم الشيخ رحمه الله تعالى هٰذه النواقض بقوله: «ولا فرق في جميع هٰذه النواقض بين الهازل»، وهو الذي لم يتعمد ذٰلك بل على سبيل المزح والهزل، «أو الجاد»، وهو القاصد المتعمد، «أو الخائف» وهو الذي يخوف بالكلام أو الفعل ويهدد ويتوعد من غير فعل أو بشيء خفيف ونحو ذٰلك؛ ما لم يصل إلى حد الإكراه، وهو قوله: «إلَّا المكره»، فمن أكره إكراهاً صحيحاً معتبراً؛ فلا شيء عليه؛ بشرط كون قلبه مطمئناً بالإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿**إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ**﴾ [النحل: ١٠٦]؛ لأن الإكراه لا يكون إلَّا في الظاهر، وأما عقيدة القلب؛ فلا يكره أحد عليها، فمن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، سواء كان هازلاً، أو جادّاً، أو خائفاً، أو مداهناً، أو لأي غرض من الأغراض؛ فقد كفر وخرج عن الملَّة؛ إلَّا المكره؛ كما تقدم.

ثم بيَّن الشيخ أن هٰذه النواقض كلها من أعظم ما يكون خطراً وشرّاً، وأكثر ما يكون وقوعاً، لا سيَّما في هٰذه الأزمان المخيفة، فيجب على المسلم الناصح لنفسه أن يحذرها ويتعلمها؛ ليجتنبها ويحذِّر منها، وأن يخاف منها على نفسه، ولا يأمن مكر الله؛ فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن سبحانه، إذا شاء

أن يقيم قلباً؛ أقامه، وإذا شاء أن يزيغ قلباً؛ أزاغه، فيا مُقلِّبَ القلوب! ثبِّت قلوبنا على دينك حتى نلقاك.

ونعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه، وشرِّ عباده، آمين.



أنواع التوحيد

● **(التوحيد ثلاثة أنواع).**

التوحيد: مصدر وحَّده يوحِّده توحيداً: جعله واحداً؛ أي: فرداً.

وهو ـ أي التوحيد ـ ثلاثة أنواع؛ كما عُلم ذٰلك بالاستقراء والتتبُّع، وبعض العلماء يجعله منقسماً إلى نوعين، ولا مشاحَّة في ذٰلك؛ فالذي يجعله نوعين كالعلَّامة ابن القيِّم رحمه الله وغيره؛ يجعل توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات نوعاً واحداً، ويسميهما: توحيد المعرفة والإثبات، والثاني: توحيد الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

والمقصود: أنه لا بدَّ من اجتماع هٰذه الأنواع كلها؛ فلا يحكم بإسلام أحد؛ حتى تجتمع فيه هٰذه الأنواع، لا يكفي واحد منها عن الآخر، بل هي متلازمة مقتضية للعمل بها ظاهراً وباطناً.

● **(الأول: توحيد الربوبيَّة، وهو الذي أقرَّ به الكفَّار على زمن رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحلَّ دماءهم وأموالهم، وهو توحيد الله بفعله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصارَ ومَنْ يُخْرِجُ**

الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ومَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقولونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقونَ﴾ [يونس: ٣١]، والآيات على هٰذا كثيرة جدّاً).

أي: النوع الأول من أنواع التوحيد؛ توحيد الربوبيَّة: وهو الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى رب كل شيء وموجده ورازقه ومليكه ومدبره والمتصرف فيه، وهو المنفرد بذٰلك كله، لا رب غيره، ولا شريك له في ربوبيته وملكه.

وهٰذا النوع قد أقرَّ به الكفَّار قديماً وحديثاً، لا خلاف بينهم أن الله تعالى هو الذي أوجدهم من العدم، وربَّاهم بالنعم، وأوجد جميع المحدثات بقدرته وحده لا شريك له، ولم ينكر هٰذا النوع إلَّا شرذمة قليلة خبيثة كالدهريَّة وأشباههم؛ فالخلق مفطورون على معرفة خالقهم والإقرار به.

ولكن هٰذا الإقرار بتوحيد الربوبيَّة لا يكفي، بل لا بدَّ من اجتماع الأنواع كلها؛ كما أقرَّ به الكفَّار؛ كأبي جهل وأضرابه على زمن رسول الله ﷺ إقراراً واضحاً، ولكن لم يدخلهم ذٰلك في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحلَّ دماءهم وأموالهم؛ كما قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذٰلك؛ عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى». متفق عليه.

وهٰذا النوع هو توحيد الله بفعله تعالى؛ أي: إفراد الله تعالى، وأنه واحد بأفعاله؛ كالخلق والرزق والإحياء والإماتة... وغير ذٰلك من أفعاله تعالى التي يجب أن يفرد بها وحده لا شريك له.

والدليل على أن الكفَّار مقرون بهٰذا النوع: قوله تعالى: **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السماءِ والأَرْضِ﴾**؛ أي: من الذي ينزِّل من السماء ـ وهو السحاب ـ ماء المطر، فيشق الأرض شقّاً بقدرته ومشيئته، فيخرج منها أنواع الثمار والأطعمة

والخيرات ما الله به عليم، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصارَ﴾؛ أي: الذي وهبكم هٰذه القوة السامعة والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إيَّاها، ﴿ومَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾؛ أي: بقدرته العظيمة، ومنَّته العميمة؛ لأنه على كل شيء قدير، ﴿ومَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾؛ أي: من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقِّب لحكمه، ولا يسأل عمَّا يفعل وهم يسألون، ﴿فَسَيَقولونَ الله﴾؛ أي: هم يعلمون ذٰلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلا تَتَّقونَ﴾؛ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم.

والآيات بمعنى هٰذه الآية كثيرة جدّاً؛ فمن ذٰلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ ومَنْ فيها إِنْ كُنْتُم تَعْلَمونَ . سَيَقولونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السماواتِ السَّبْعِ ورَبُّ العَرْشِ العَظيمِ . سَيَقولونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقونَ . قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكوتُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ يُجيرُ ولا يُجارُ عَلَيهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقولونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرونَ﴾ [المؤمنون: ٨٣ ـ ٨٩]. . . إلى غير ذٰلك من الآيات.

والله تعالى يحتجُّ في آيات كثيرة من كتابه على الكفَّار بما أقروا به وعلموه من توحيد الربوبيَّة على ما جحدوه وأنكروه من توحيد الأُلوهيَّة؛ لأن توحيد الربوبيَّة هو الدليل الأوضح، والبرهان الأعظم على توحيد الألوهيَّة كما قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الناسُ اعْبُدوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ والذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ . الذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً والسماءَ بناءً وأَنْزَلَ مِنَ السماءِ ماءً فأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلوا للَّهِ أَنْداداً وأَنْتُم تَعْلَمونَ﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢]؛ أي: وأنتم تعلمون أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبِّر الكامل من كل وجه، وحده لا شريك له، وأن غيره من الأنداد والأصنام، لا تماثله بوجه من الوجوه، فإذا علمتم أن الله تعالى هو المنفرد بذٰلك كلِّه؛ فأفردوه بالعبادة وحده لا شريك له؛ لأنه هو المستحقُّ لها دون من سواه.

وقد قال شيخ الإسلام الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى كلمة عظيمة في معنى ما تقدم، وهي قوله: «إذا كان الله واحداً في أفعاله؛ فوحِّده في أفعالك»، أي: إذا كان الله تعالى واحداً بلا شك في أفعاله؛ كالخلق والرزق وغير ذٰلك، وتيقنت ذٰلك، وأقررت به؛ فوحِّده؛ أي: اجعله واحداً لا شريك له في أفعالك أيها الإنسان؛ كالدعاء والصلاة والخوف وغير ذٰلك من أنواع العبادة؛ لأنه هو المستحقُّ لها، وغيره لا يستحقُّ شيئاً منها؛ فسبحان الله وتعالى عمَّا يشركون.

● **(الثاني: توحيد الألوهيَّة، وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد؛ كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة، وكل نوع من هٰذه الأنواع عليه دليل من القرآن).**

أي: النوع الثاني من أنواع التوحيد: توحيد الألوهيَّة؛ أي: إفراد الله تعالى بالعبادة، والله تعالى هو المألوه المعبود وحده لا شريك له.

وتقدم تعريف العبادة، وهٰذا النوع هو توحيد الطلب والقصد، وهو معنى: لا إلٰه إلَّا الله، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل بذٰلك؛ كما قال تعالى: **﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

ففي هٰذه الآية بيان الحكمة الدينيَّة الشرعية من إيجاد الثقلين، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

قال العلامة ابن القيِّم رحمه الله تعالى في «الكافية الشافية»:

فَلِوَاحِدٍ كُنْ واحداً في واحدٍ ... أَعني سبيلَ الحقِّ والإيمانِ

ولهٰذا النوع ركنان؛ كما قال أيضاً رحمه الله تعالى:

والصدقُ والإخلاصُ ركنا ذٰلكَ التَّـ ـوحيدِ كالرُّكْنَيْنِ للبنيانِ

وقد عرَّفها؛ أي: العبادة؛ بقوله:

وعبادةُ الرحمٰنِ غايةُ حبِّهِ مع ذُلِّ عابِدِهِ هما قُطْبانِ
وعليهما فلكُ العبادةِ دائرٌ ما دارَ حتَّى قامتِ القطبانِ
ومدارُهُ بالأمرِ أمْرِ رسولِهِ لا بالهوى والنفس والشيطانِ

إذا علم ذٰلك؛ فاعلم أن هٰذا النوع من التوحيد هو الذي وقع فيه النزاع والخصومة بين الرسل عليهم السلام وبين أممهم من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ.

وأول رسول بعث إلى أهل الأرض بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك هو نوح عليه السلام، وقبله عشرة قرون من آدم عليه السلام إليه كلهم على التوحيد حتى ظهر الشرك في قوم نوح لما غلوا في الصالحين كما في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿**وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً...**﴾ الآية: [نوح: ٢٣]؛ قال: «هٰذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلما هلكوا؛ أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولٰئك ونسي العلم؛ عبدت».

فهٰذا أول شرك حدث في الأرض، وسببه الغلو في الصالحين، والجهل بدين رب العالمين.

وآخر الرسل وخاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين.

فكل نبي يبعث إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿ولَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغوتَ. . . ﴾ الآية: [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ إلَّا نوحي إلَيْهِ أنَّهُ لا إلَهَ إلَّا أنا فَاعْبُدونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. . . إلى غير ذلك من الآيات.

بل كل سورة في القرآن؛ فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل آية متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي الشرك وأهله وجزائهم. أفاده العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله تعالى مع الاختصار.

وتوحيد الألوهيَّة هو توحيد الله وإفراده بأفعال العباد:

كالدعاء؛ قال تعالى: ﴿وقالَ رَبُّكُمُ ادْعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ﴾ [غافر: ٦٠].

والنذر؛ كما قال تعالى: ﴿يوفونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

والنحر؛ كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

والرجاء؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحداً﴾ [الكهف: ١١٠].

والخوف؛ كما قال تعالى: ﴿فَلا تَخافوهُم وخافونِ إنْ كُنْتُم مُؤمِنينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والتَّوكل؛ كما قال تعالى: ﴿وعَلى اللهِ فَتَوكَّلوا إنْ كُنْتُم مُؤمِنينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

والرغبة والرهبة والخشوع؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّهُمْ كانوا يُسارِعونَ في الخَيْراتِ ويَدْعوننا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لَنا خاشِعينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والإنـابة؛ كما قال تعالى: ﴿**وأَنيبوا إلى رَبِّكُم وأَسْلموا لَهُ**...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وغير ذٰلـك من أنـواع العبـادات الـظاهرة كالصلاة والزكاة ونحو ذلك، والباطنة كالمحبة والخشية ونحو ذٰلك؛ كلها لله وحده لا شريك له.

فمن صرف منها شيئاً لغير الله؛ فهو مشرك كافر، وإن مات قبل أن يتوبْ؛ فهو خالد مخلد في نار جهنم أبداً والعياذ بالله:

كما قال تعالى: ﴿**وأَنَّ المساجِدَ للهِ فَلا تَدْعوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**﴾ [الجن: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿**ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقـال تعـالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ**...﴾ الآية [النساء: ١١٦].

وقـال تعـالى: ﴿**إِنَّـهُ مَنْ يُشْـرِكْ بِاللهِ فَقَـدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ ومأْواهُ النارُ**...﴾ الآية [المائدة: ٧٢].

إلى غير ذٰلك من الآيات.

وقد أخذ النبي ﷺ يدعو قريشاً إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك عشر سنين قبل أن تفرض عليه الفرائض؛ لأن التوحيد هو الأصل، وغيره فرع عليه، وإذا زال الأصل؛ زال الفرع، فلما علم الكفّار أن مراد النبي ﷺ بذٰلك هو إفراد الله تعـالى بالعبادة والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه؛ شمَّروا له عن ساق العداوة، وإلَّا؛ فهم لا ينكرون أن الله تعالى هو ربهم وموجدهم ورازقهم وحده لا شريك له، بل لا ينكرون عبادة الله تعالى مطلقاً؛ لأن الله أخبر أنهم يحبونه

ويعبدونه ويرجونه ويخافونه، بل إنهم لم ينكروا إلَّا إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وجعل الألوهيَّة خالصة له مختصَّة به وحده، وهم بعبادتهم مع الله غيره لا يقصدون ابتداءً إهانة الله والاستخفاف به، بل هم بزعمهم يقصدون تعظيم الله تعالى وإجلاله أن يعبدوه مباشرة بدون واسطة فاضلة بينهم وبينه؛ تشفع لهم عنده، وتقربهم إليه زلفى؛ لأنهم مذنبون وحقيرون، ولا جاه لهم عنده؛ كما أن الملك من ملوك الدنيا لا يُسأل إلَّا بواسطة الوزراء والحجاب ونحوهم، والله أولى بذٰلك من ملوك الدنيا؛ فهم بزعمهم الفاسد شبهوا الله الخالق العظيم الكامل من كل وجه بالمخلوق الضعيف الفقير الناقص من كل وجه، وهٰذا تشبيه باطل في غاية البطلان والفساد، ومن شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، وما ذاك إلَّا من تسويل الشيطان لهم، وإلَّا؛ فأين البرهان على ذٰلك؟!

فيجب على المسلم أن يتعلم دينه، ويعرف التوحيد وضده الشرك معرفة صحيحة، وإلَّا؛ فقد يقع في الشرك وهو لا يشعر، فمن دخل في الدين ولم يعرف حقيقته، أو نشأ في الإسلام وهو لا يعرف الجاهلية والشرك؛ فهو على خطر عظيم، خصوصاً في هٰذا الزمان المهول المخيف، الذي قلَّ فيه العلم النافع، وكثر فيه العلم الضار، واختلط فيه الحابل بالنابل، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

ولما ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله قصة ذات أنواط في «كشف الشبهات»؛ قال: «ولكن هٰذه القصة تفيد أنَّ المسلم، بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه؛ أن هٰذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان» اهـ.

وقال العلاَّمة ابن القيِّم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين» في أواخر الجزء الأول: «ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تُنْقَض

عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وهٰذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه؛ وقع فيه وأقرَّه ودعا إليه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شرٌّ منه أو دونه، فينقض بذٰلك عرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حيٌّ؛ يرى ذٰلك عياناً. والله المستعان» اهـ.

● (**الثالث: توحيد الذات والأسماء والصفات. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ. ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وقال تعالى: ﴿ولِلهِ الأَسْماءُ الحُسْنى فَادْعوهُ بِهـا وذَروا الـذينَ يُلْحِـدونَ في أَسْمـائـهِ سَيُجْـزَونَ ما كانـوا يَعْمَلونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾ [الشورى: ١١]**).

أي: النوع الثالث من أنواع التوحيد: توحيد الذات المقدسة بأنها لا تشبه الذوات، وكذٰلك الأسماء الحسنى والصفات العلى، مما جاء في كتاب الله تعالى، وصحَّ عن رسوله ﷺ.

فأهل السنة والجماعة يثبتون ذٰلك لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته؛ إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

فطريقتهم في هٰذا الباب العظيم، الذي زلَّت فيه أقدام، وضلَّت فيه أفهام، وهدى الله أهل السنة والجماعة إلى الحق، وهو الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته الثابتة به في الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير؛ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له ولا كفء له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى؛ فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه.

والله تعالى قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي المجمل والإثبات المفصل، فننفي عنه جميع النقائص والعيوب؛ كنفي النِّدِّ والشريك والسِّنة والنوم والموت ونحو ذٰلك مجملاً كما جاء في الكتاب والسنة، ونثبت له صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال بالتفصيل الذي ذكره الله في كتابه وأخبر به عنه رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة.

قال العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله تعالى في «نونيته» التي جُلُّها في هٰذا النوع من التوحيد:

أَسماؤهُ أوصافُ مدحٍ كلُّها	مشتقةٌ قد حُملتْ لمعانِ
إيَّاكَ والإلحادَ فيها إنَّه	كفرٌ معاذَ اللهِ مِنْ كُفرانِ
وحقيقةُ الإلحادِ فيها الميلُ بالـ	ـإشراكِ والتَّعطيلِ والنُّكرانِ
فَالمُلحِدونَ إذاً ثلاثُ طوائفٍ	فعليهِمُ غَضبٌ مِنَ الرحمٰنِ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

مَنْ شبَّه اللَّهَ العظيمَ بِخَلْقِهِ	فهو النسيبُ لمشركٍ نصرانِي
أو عطَّل الرحمٰنَ من أوصافِهِ	فهو الكفورُ وليسَ ذا إيمانِ

وقال العلَّامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله تعالى في كتابه المفيد «سُلَّم الوصول إلى علم الأصول» الذي نظم فيه أصول الدين وأنواع التوحيد ومعتقد أهل السنة والجماعة نظماً حسناً لا يستغني عنه المسلم، خصوصاً طالب

العلم؛ فعليك يا طالب الهدى بحفظه ومطالعة شرحه «معارج القبول»، وكذٰلك جميع المتون النافعة، خصوصاً في العقيدة والتوحيد؛ فإن ذٰلك مفتاح العلم النافع بإذن الله تعالى، ومن حفظ المتون؛ حاز الفنون، ومن ترك الأصول؛ حرم الوصول. والله الموفِّق:

«فصل في بيان توحيد المعرفة والإثبات».

وفي آخره؛ قال:

وكلُّ ما لهُ من الصفاتِ	أَثْبَتَها في مُحكَمِ الآياتِ
أو صحَّ فيما قالَهُ الرسولُ	فحقُّهُ التسليمُ والقبولُ
نُمِرُّها صريحةً كما أَتَتْ	مع اعتقادِنا لِما لَهُ اقتضَتْ
من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلِ	وغيرِ تكييفٍ ولا تمثيلِ
بلْ قولُنا قولُ أئمةِ الهدى	طوبى لمنْ بهديهمْ قد اهتدى.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في هٰذا النوع من الآيات قوله تعالى في سورة الإخلاص التي ثبت في الصحيح أنها تعدل ثلث القرآن:

﴿قُلْ﴾؛ أي: يا محمد! وفي هٰذا دليل على أن القرآن كلام الله؛ إذ لو كان كلام محمد ﷺ أو غيره؛ لم يقل: ﴿قُلْ﴾. وقوله: ﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: واحد لا نظير له ولا وزير، ولا مثيل ولا شريك له. ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾؛ أي: السيِّد الذي كمل في سؤدده وشرفه وعظمته، وفيه جميع صفات الكمال، والذي تصمد إليه الخلائق وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتها. ﴿لَمْ يلِدْ ولَمْ يولَدْ﴾؛ أي: ليس له ولد ولا والد له، وفيه الردُّ على النصارى ومشركي العرب الذين نسبوا لله الولد سبحانه وتعالى. ﴿ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحدٌ﴾؛ أي: ليس له مكافىء ولا مماثل ولا نظير جلّ وعلا.

وقوله تعالى: ﴿ولله الأسْماءُ الحُسْنى﴾؛ أي: لله وحده الأسماء الحسنى

البالغة في الحسن منتهاه، لا شريك له، ولا شبيه له فيها. ﴿فَادْعوهُ﴾؛ أي: اسألوه وتوسلوا إليه. ﴿بِها﴾، ودعاؤه بها أحد مراتب إحصائها الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً، من أحصاها؛ دخل الجنة»، متفق عليه. ﴿وذَروا الذينَ يُلْحِدونَ في أَسْمائِهِ﴾؛ أي: اتركوهم وأعرضوا عن مجادلتهم. ﴿سيُجْزَوْنَ ما كانوا يَعْمَلونَ﴾، وهٰذا وعيد شديد وتهديد أكيد.

والإلحاد في اللغة: الميل والجور والانحراف، والإلحاد في أسماء الله تعالى: كما قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى: إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما بجعلها أسماء لهٰذه المخلوقات؛ كإلحاد أهل الاتحاد. . . إلخ كلامه رحمه الله تعالى.

واعلم أن أسماء الله تعالى ليست منحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة المرفوع المتقدم ذكره، بل هي كثيرة جدّاً، لا يعلم عددها إلَّا الله تعالى؛ بدليل الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وغيره في ذكر الدعاء لمن أصابه همٌّ أو حزن، وفيه: «أسألك اللهم بكل اسم هو لك؛ سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك. . .» الحديث.

أما سرد الأسماء في رواية الترمذي وغيره؛ فضعيفة، والذي عوَّل عليه جماعة من الحفَّاظ أن سردها مدرج في الحديث، وليس منه.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾؛ أي: أنه سبحانه لا مثل له في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله. ﴿وهُوَ السَّميعُ﴾؛ أي: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات. ﴿البَصيرُ﴾؛ أي: الذي أحاط بصره بجميع المبصرات.

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: ردٌّ على المشبهة، وقوله: ﴿وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: ردٌّ على المعطلة.

والكلام في هٰذا النوع من التوحيد طويل جدّاً، وقد ألفَّ فيه علماء الإسلام المحققون على مذهب أهل السنة والجماعة كتبهم المشهورة، ومن أحسنها وأوضحها وأخصرها «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى وجميع علماء الإسلام المحققين، ونفعنا والمسلمين بتآليفهم المباركة وعلومهم النافعة، آمين.

فعليك يا أخي المسلم بالمداومة على تعلم التوحيد بأنواعه الثلاثة؛ خصوصاً توحيد الألوهيَّة وتوحيد الأسماء والصفات؛ فإنك في زمان مُخيف موحش. وبالله التوفيق.





ضد التوحيد الشرك

لما ذكر المؤلف التوحيد وأنواعه؛ شرع في بيان ضده، وهو الشرك، وضد الشيء: خِلافُهُ، وضادَّهُ مضادَّة: إذا باينه مخالفة، والمتضادان اللذان لا يجتمعان؛ كالليل والنهار، والماء والنار.

فالشرك أعظم ضد للتوحيد على الإطلاق، ولا يجتمع معه أبداً؛ لأنه يناقضه ويفسده ويبطله، فلا يكون المرء مسلماً؛ حتى يترك الشرك ويتبرأ منه ومن أهله، ولا يحصل له تركه؛ حتى يعرفه ويتعلم دينه، وإلاَّ؛ فقد يقع فيه وهو لا يشعر؛ كما تقدم كلام عمر رضي الله عنه فيمن لا يعرف الجاهلية ونحو ذلك، بل لا يعرف العبد حقيقة التوحيد وفضله؛ حتى يعرف ضده، وهو الشرك؛ كما قيل:

فالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ وبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأشْياءُ

فالشرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، فيجب على المسلم أن يحذر من الشرك كلِّه؛ دقِّه وجلِّه، ويخافه على نفسه أشد الخوف؛ كما ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: أنه قال: ﴿واجْنُبْني وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيميُّ: «ومَنْ يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام؟!»فإذا كان الخليل عليه السلام، وهو إمام الحنفاء الذي جعله الله أمةً وحده، وقد كسَّر الأصنام بيده، يخاف أن يقع في الشرك؛ فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب عظيمة، ولكن؛ من كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف.

وقد كان نبينا محمد ﷺ يكثر من قول: «يا مُقَلِّبَ القلوب! ثبِّت قلبي على دينك».

وأخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولون: **﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا وهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾** [آل عمران: ٨].

وحقيقة الخوف من الشرك: صدق الالتجاء إلى الله، والاعتماد عليه، والابتهال والتضرع، في أن يجنبه إياه ويعيذه منه، مع البحث بصدق، والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه؛ ليسلم من الوقوع فيه؛ كما قال حذيفة رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه»، رواه البخاري.

● **(وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي).**

أي: أن الشرك ينقسم إلى ثلاثة أنواع بالاستقراء والتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبعضهم يجعله نوعين؛ كما تقدم في أنواع التوحيد؛ فتأمل.

● **(الشرك الأكبر لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحاً. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ ومَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً﴾ [النساء: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وقالَ المَسيحُ يا بَني إِسْرائيلَ اعْبُدوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَليهِ الجَنَّةَ ومأْواهُ النارُ وما للظالِمينَ مِنَ أَنْصارٍ﴾ [المائدة:**

٧٢]، وقال سبحانه: ﴿وقَدِمْنا إلى ما عَمِلوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هباءً مَنْثوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ولَو أَشْرَكوا لَحَبِطَ عَنْهُم ما كانوا يَعْمَلونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]).

شرع رحمه الله تعالى في بيان النوع الأول، وهو الشرك الأكبر.

والشرك كما تقدم هو دعوة غير الله مع الله، أو بتعريف أشمل: هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

فمن صرف شيئاً من خصائص الله تعالى لغيره كائناً من كان؛ فقد جعله شريكاً لله سبحانه، ومن جعل مع الله تعالى شريكاً في عبادته؛ فقد كفر بالله العظيم، وأشرك به الشرك الأكبر، الموجب للَّعنة والخلود في النار أبد الآبدين ودهر الداهرين والعياذ بالله، وذٰلك لأن الشرك الأكبر أظلم الظلم وأبطل الباطل، وهو هضم للربوبيَّة، وتنقُّص للألوهيَّة، وسوء ظن برب العالمين.

وسمي الشرك الأكبر شركاً أكبر؛ لوجود شرك أقل منه ولا يبلغ درجة شناعته، وهو الشرك الأصغر، وأيضاً؛ لأنه أكبر ذنب وأعظم إثم عُصي الله به، وكيف لا يكون كذٰلك وهو يقتضي تسوية الله العظيم الخالق الكريم الذي أوجد المخلوقات من العدم وغذاها بالنعم وكل شيء محتاج إليه بمخلوق محتاجٍ ضعيفٍ فقيرٍ عاجزٍ لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولا ضراً؟! فسبحان الله وتعالى عما يشركون.

ولذٰلك لا يغفر الله لمن لقيه بهٰذا الشرك أبداً، وتحبط به جميع الأعمال؛ لأن العمل لا يكون صالحاً مقبولاً حتى يجتمع فيه شرطان، وهما: الإخلاص المنافي للشرك، والمتابعة المنافية لضدِّها.

والآيات والأحاديث في هٰذا المعنىٰ كثيرة معلومة:

فمن ذٰلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...**﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿**وقالَ المَسيحُ يا بَنِي إسرائيلَ اعْبُدوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ باللهِ فقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليهِ الجَنَّةَ ومأْواهُ النارُ وما للظالِمينَ مِنْ أَنْصارٍ**﴾.

وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في الناقض الأول من نواقض الإسلام، وفيهما بيان قبح الشرك، وأنه أعظم الذنوب، وأن مآل صاحبه إلى النار خالداً مخلداً فيها، وأن الجنة عليه حرام.

وأما قوله تعالى: ﴿**وقَدِمنا**﴾؛ أي: عمدنا. ﴿**إلى ما عَمِلوا**﴾؛ أي: أهل الشرك. ﴿**مِنْ عَمَلٍ**﴾؛ قليلاً كان أو كثيراً. ﴿**فجَعَلناهُ هَباءً مَنْثوراً**﴾، وهو شعاع الشمس إذا دخل في الكَوَّة، فإذا أراد أحد أن يقبض عليه؛ لم يستطع، وذٰلك لأن الأعمال لا تقبل مع الشرك ألبتة؛ كما قال تعالى: ﴿**والذينَ كَفَروا أَعْمالُهُم كسرابٍ بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً حَتى إذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً...**﴾ الآية [النور: ٣٩]، وكما قال سبحانه: ﴿**مَثَلُ الذينَ كَفَروا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُم كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ في يومٍ عاصفٍ...**﴾ الآية [إبراهيم: ١٨].

وأما قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشركْتَ**﴾؛ أي: يا محمد! وهٰذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كانَ للرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنا أَوَّلُ العابِدينَ**﴾ [الزخرف: ٨١]... ونحوها. وقوله: ﴿**لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾؛ أي: ليفسدنَّ. ﴿**ولَتَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ**﴾؛ أي: الهالكين.

فإذا علمت أن الله أخبر أن خليله محمداً ﷺ والأنبياء والمرسلين كما في أول هٰذه الآية وكما في الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿**ولَو أَشْركوا لَحَبِطَ عَنْهُم ما كانوا يَعْمَلونَ**﴾، فلو أنهم عليهم السلام أشركوا، وحاشاهم من ذٰلك؛ لأنه يستحيل وقوعه منهم؛ لأن الله اصطفاهم وعصمهم وحماهم، ولكن هٰذا من باب الفرض والتقدير، فلو أن الشرك فرض أنه وقع منهم مع أنه لا يقع؛ لحبطت

أعمالهم، ولكانوا من الخاسرين في الدنيا والآخرة؛ فكيف إذا وقع ممن هو دونهم من الناس؟!

ففي ما تقدم تشديد عظيم لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتحذير من فعله؛ فجميع الذنوب التي دون الشرك تحت المشيئة لمن مات ولم يتب منها: إن شاء الله غفر له بفضله، وإن شاء عذبه بعدله بقدر ذنوبه، ثم يكون مآله إلى الجنة، ولا يخلد موحِّد في النار، أما الشرك؛ فلا يغفره الله لمن مات ولم يتب منه، بل مآله إلى النار خالداً مخلداً فيها أبداً، **﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلودُهُم بَدَّلْناهُم جلوداً غَيْرَها لِيَذُوقوا العَذابَ﴾** [النساء: ٥٦].

فنسأل الله الكريم أن يعصمنا من الشرك كلِّهُ، وأن يتوفَّانا على التوحيد وجميع المسلمين والمسلمات؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

● **(الشرك الأكبر أربعة أنواع).**

أي: الشرك الأكبر الذي تقدم الكلام عليه ينقسم إلى أربعة أنواع، كل نوع منها يوجب الخلود في النار والعياذ بالله.

● **(النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذا رَكِبوا في الفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلى البَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]).**

أي: النوع الأول من أنواع الشرك الأكبر: شرك الدعوة؛ أي: الدعاء.

وذلك أن الدعاء عبادة من أعظم أنواع العبادات، بل هو مخُّ العبادة وخالصها، بل كما قال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[1]، وقد قال الله سبحانه: **﴿وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعوني أَسْتَجِبْ لَكُم إِنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلونَ**

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وغيره.

جَهَنَّمَ داخِرينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فلما ثبت أن الدعاء عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك أكبر، فمن دعا نبيّاً أو مَلَكاً أو وليّاً أو قبراً أو حجراً أو غير ذٰلك من المخلوقين؛ فهو مشرك كافر؛ كما قال تعالى: **﴿ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرونَ﴾** [المؤمنون: ١١٧].

بل كل عبادة لله تعالى من العبادات الظاهرة والباطنة لا يجوز صرفها إلَّا له وحده لا شريك له، فمن صرفها أو شيئاً منها لغير الله؛ فهو مشرك الشرك الأكبر؛ كما تقدم الكلام على ذٰلك، مع ذكر الأدلَّة في النوع الثاني من أنواع التوحيد.

والدليل على أن الدعاء عبادة، بل هو أجل العبادات وأساسها، وأن من صرفه لغير الله؛ فهو مشرك: قوله تعالى: **﴿فَإِذا رَكِبوا في الفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدينَ...﴾** الآية.

يخبر تعالى عن الكفَّار المشركين به: أنهم إذا كانوا في البحر على السفن التي سخرها الله لهم تسير بهم حيث شاؤوا بسهولة، فإذا جاءتهم ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان، وتيقنوا بالهلاك؛ لجؤوا حينئذٍ إلى الله وحده في كشف كربتهم، لعلمهم أنه لا ينجيهم إلَّا هو وحده، فيخلصون له الدين والدعاء بالتضرع والبكاء، ويتركون آلهتهم كلها، ويقولون: لئن أنجيتنا من هٰذه لنكوننَّ من الشاكرين، فيستجيب دعاءهم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويوصلهم إلى مطلوبهم سالمين، فإذا نزلوا عن السفينة؛ عادوا إلى شركهم وكفرهم؛ يخادعون الله وهو خادعهم، ولكن لتمام علمه وحكمته وحلمه يمهلهم إلى أجل مسمىً، ولو شاء؛ لأهلكهم في البر أو في أي مكان كانوا، فإذا كان يوم القيامة؛ فإذا الحجَّة قد قامت عليهم، فيدخلون جهنم داخرين

خالدين فيها أبداً والعياذ بالله.

وقد قال شيخ الإسلام الإمام المجدِّد رحمه الله تعالى في «القواعد الأربع»: «القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة» اهـ.

● **(النوع الثاني: شرك النيَّة والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ كانَ يُريدُ الحَياةَ الدُّنْيا وزينَتَها نُوَّفِ إِلَيْهِم أَعْمالَهُم فيها وهُم فيها لا يُبْخَسونَ . أُولٰئكَ الذينَ لَيْسَ لَهُم في الآخِرَةِ إلَّا النارُ وحَبِطَ ما صَنَعوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يَعْمَلونَ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦]).**

أي: النوع الثاني من أنواع الشرك الأكبر: شرك النيَّة، وهي لغةً: القصد، وهو عزم القلب على فعل الشيء. والإرادة، وهي لغة: الميل. والقصد: وهو لغة: الطلب. فهٰذه الثلاث كالمترادفات، ومعناها متقارب.

والمقصود أن من نوى وأراد بأعماله الدنيا أو الرياء ـ كأهل النفاق الخلص ـ إرادةً كلية، ولم يقصد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة؛ فهو مشرك الشرك الأكبر. أما مَنْ أراد بأعماله الله والدار الآخرة، ولكن طرأ على بعض أعماله رياء أو نحو ذٰلك؛ فليس داخلاً في ذٰلك، بل يكون عمله شركاً أصغر؛ كما سيأتي الكلام عليه مع ذكر التفصيل إن شاء الله تعالى.

والدليل على ما تقدم: قوله تعالى: **﴿مَنْ كانَ يُريدُ الحياةَ الدُّنْيا وزينَتَها﴾**؛ أي: من كانت همَّته ونيَّته الدنيا فقط. **﴿نُوفِّ إليهِم أَعْمالَهُم فيها﴾**؛ أي: يجازى بأعماله في الدنيا بتوسعة رزقه وإعطائه ما نوى، **﴿وهُم فيها﴾**؛ أي: في الدنيا. **﴿لا يُبْخَسونَ﴾**؛ أي: لا ينقصون شيئاً. **﴿أُولٰئكَ الذينَ لَيْسَ لَهُم في الآخِرَةِ إلَّا النارُ﴾**؛ أي: خالدين فيها أبداً. **﴿وحَبِطَ ما**

صَنَعوا فيها﴾؛ أي: من الحسنات. **﴿وباطِلٌ ما كانوا يَعْمَلونَ﴾**؛ أي: كما قال سبحانه: **﴿وقَدمنا إلى ما عَمِلوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثوراً﴾** [الفرقان: ٢٣].

وفي هٰذه الآية التي في سورة هود بيان أن كل من عمل لأجل الدنيا وترك الآخرة: أنه يعطى ما طلب من غير نقصان، ولكن بيَّن الله تعالى في سورة الإسراء أن هٰذه الآية ليست مطلقة لكل أحد، بل مقيدة بمن أراد الله له ما يشاء سبحانه؛ كما قال تعالى: **﴿مَنْ كانَ يُريدُ العاجِلَةَ عَجَّلنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُريدُ ثُمَّ جَعَلنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْموماً مَدْحوراً﴾** [الإسراء: ١٨]؛ فهٰذه الآية مقيِّدة لإطلاق ما سواها من الآيات، فتأمل.

وهٰذا النوع من الشرك دقيق الأمر، شديد الخطر، ويحتاج أيضاً إلى معرفة ما هو شرك أكبر وما هو شرك أصغر.

قال العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله تعالى: «أما الشرك في الإرادات والنيَّات؛ فذٰلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، مَنْ أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشرك في نيته وإرادته» اهـ.

وصدق رحمه الله؛ فنسأل الله تعالى السلامة والعافية في الدنيا والآخرة لنا وللمسلمين والمسلمات.

● **(النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذوا أَحْبارَهُم ورُهْبانَهُم أَرْباباً مِنْ دونِ اللهِ والمَسيحَ ابنَ مَرْيَمَ وما أُمِروا إلَّا لِيَعْبُدوا إلٰهاً واحِداً لا إِلٰهَ إلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إيَّاهم؛ كما فسَّرها النبي ﷺ لعديِّ بن حاتم لمَّا سأله فقال: لسنا**

نَعبدهم؟ فذكر له أنَّ عبادتَهم طاعتُهم في المعصية) .

أي : النـوع الثـالث من أنواع الشرك الأكبر: شرك الطاعة ، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرَّم الله ، أو تحريم ما أحلَّ الله ، ويعتقد ذٰلك بقلبه ، مع علمه بأنه مخالف للدين ؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، وأشرك به الشرك الأكبر.

والـدليل قوله تعالى : ﴿**اتَّخذوا**﴾ ؛ أي : اليهود والنصارى لعنهم الله . ﴿**أَحْبارَهُم**﴾ ؛ وهم علماء اليهود ﴿**ورهبانَهُم**﴾ وهم عبَّاد النصارى . ﴿**أَرْباباً مِنْ دونِ اللهِ**﴾ ؛ أي : شركاء مع الله ؛ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ ﴿**والمَسيحَ ابنَ مَرْيَمَ**﴾ أي : عيسىٰ عليه السلام وهو بريء من عبادتهم له ، ﴿**وما أُمِروا إلَّا لِيَعْبُدوا**﴾ ؛ أي : يُفْرِدوا بالعبادة والطاعة . ﴿**إِلٰهاً واحِداً**﴾ ، وهو الله سبحانه . ﴿**لا إِلٰهَ إلَّا هُوَ**﴾ ؛ أي : لا معبود بحقٍّ إلَّا هو. ﴿**سُبْحانَهُ**﴾ ؛ تنزيهاً له تعالى . ﴿**عَمَّا يُشْرِكونَ**﴾ ؛ أي : به ، كائناً من كان ، في طاعته وعبادته ؛ لأنها لا تنبغي إلَّا له وحده لا شريك له .

وبيَّن رحمه الله معنى هٰذه الآية بأن تفسيرها الذي لا إشكال فيه ولا ريب : هو طاعـة العلمـاء والعباد ونحوهم في المعصية لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جلَّ وعلا ، لا دعاؤهم إيَّاهم وسجودهم لهم وغير ذٰلك من العبادات ؛ لأن الطاعة عبادة ، بل العبادة هي الطاعة ؛ لأن العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسن رسله ؛ فهي من خصائص الله تعالى ، فمن صرفها لغيره ؛ فهو مشرك كافر.

واستدلَّ رحمه الله على ذٰلك بتفسير الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى ﷺ ؛ حيث فسَّـرها بذٰلك ؛ كما رواه الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، وأبوه حاتم هو الطائيُّ المشهور بالسخاء والكرم ، قدم عدي

على النبي ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم، وعاش مئة وعشرين سنة، ومات سنة ثمان وستين، رضي الله عنه وأرضاه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هٰذه الآية: ﴿**اتَّخَذوا أَحْبارَهُم ورُهْبانَهُم أَرْباباً مِنْ دونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مَرْيَمَ**. . .﴾ الآية. فقلت: إنَّا لسنا نعبدهم. فقال: «أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟». فقلت: بلى. فقال: «فتلك عبادتهم»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى على هٰذه الآية: «وهٰؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنَّهم بدَّلوا دين الله، فيتبعونهم على هٰذا التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله؛ اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهٰذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلُّون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذٰلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هٰؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله؛ كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ؛ فهٰؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. . .» إلخ كلامه رحمه الله.

---

(١) حديث حسن.

● **(النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دونِ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهم كَحُبِّ اللهِ. . .﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]).**

أي: النوع الرابع من أنواع الشرك الأكبر شرك المحبة، والمراد بهٰذه المحبة محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذلِّ والخضوع التي لا تنبغي إلَّا لله وحده لا شريك له، ومتى أحب العبد بها غيره معه؛ فقد أشرك به الشرك الأكبر.

أما المحبة الطبيعية؛ كمحبة المال والأهل والولد. . . ونحو ذٰلك؛ فليست كذلك، بل هي مباحة، إذا لم تقدَّم على محبة الله ورسوله، أو تزاحمها، أو تؤدي إلى معصية الله ورسوله ﷺ، بل قد تكون مستحبة بحسب النيَّة الصالحة.

أما محبة الرسول ﷺ؛ فهي تابعة لمحبة الله، لازمة لها، بل قد نفى النبي ﷺ الإيمان عن العبد حتى يكون ﷺ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين؛ كما في «الصحيحين» وغيرهما.

والمقصود: أن المحبة عبادة من أجلِّ أنواع العبادات، فمن صرفها لغير الله؛ فقد أشرك به الشرك الأكبر.

والدليل قوله تعالى: **﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللهِ. . .﴾** الآية [البقرة: ١٦٥].

يذكر تعالى في هٰذه الآية حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً؛ أي: أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبِّه، وهو الله لا إله إلَّا هو، ولا ضدَّ له، ولا ندَّ له، ولا شريك معه، واتخاذ

الندِّ له أعظم الذنوب وأظلم الظلم وأبطل الباطل؛ كما في «الصحيحين»: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الذنبِ أعظمُ؟ قال: «أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك».

وقوله تعالى: ﴿**والذينَ آمَنوا أَشَدّ حُبّاً لِلّهِ**﴾، ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئاً، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه.

ثم توعَّد تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك، فقال: ﴿**ولَوْ يَرى الذينَ ظَلَموا إِذْ يَرَوْنَ العَذابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلهِ جَميعاً وأَنَّ اللهَ شَديدُ العَذابِ**﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال العلاَّمة ابن القيِّم رحمه الله تعالى: «وها هنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضلَّ من ضلَّ بعدم التمييز بينها:

أحدها: محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه؛ فإن المشركين وعبَّاد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

قلت: كما في الآية المتقدمة وغيرها.

الثاني: محبة ما يحب الله، وهٰذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهٰذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب، ولا تستقيم محبة ما يحب إلاَّ فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركيَّة، وكل من أحب شيئاً مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه؛ فقد اتخذه نداً من دون الله، وهٰذه محبة المشركين» اهـ.

وبهٰذا النوع تمت الأنواع الأربعة للشرك الأكبر، المخرجة عن الإسلام؛ هي وغيرهـا من أنواع العبادات التي تصرف لغير الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرونَ﴾، فسمَّاهم الله كافرين؛ لدعائهم معه غيره. . . إلى غير ذٰلك من الآيات؛ كما تقدم بيانه، ولله الحمد والمنَّة.

● **(النوع الثاني من أنواع الشرك شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل قولـه تعـالى: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعبادةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠]).**

شرع المؤلف رحمه الله تعالى في بيان النوع الثاني من أنواع الشرك، وهو الشرك الأصغر، وسمِّي شركاً أصغر؛ لأنه يخالف الشرك الأكبر من أمور:

منها: أنه لا يوجب الخلود في النار كالأكبر.

ومنها: أنه لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط العمل الذي قارنه فقط، أو ينقص ثواب العمل.

ومنها: أن صاحبه مآله إلى الجنة، سواء عُذِّب أو لم يعذَّب؛ بخلاف الأكبر. . .

إلى غير ذٰلك من الفوارق.

وتعريفه: هو ما ذكر في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وهو أعظم الذنوب بعد الشرك الأكبر، وأكبر من الكبائر، حتى إن بعض أهل العلم يختار أن من مات على الشرك الأصغر قبل التوبة منه أنه لا بدَّ من دخوله النار وتعذيبه على قدر شركه؛ كما هو ظاهر الآية: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦]، ولكنه لا يخلد في النار، بل مآله إلى الجنة؛ كما

هو معتقد أهل السنة والجماعة.

أما تفسير الشيخ رحمه الله للشرك الأصغر بالرياء؛ فالدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا؛ فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»(١).

ففي هذا الحديث بيان واضح في تسميته بالرياء، وفيه أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين، فإذا كان النبي ﷺ يخافه على سادات الأولياء، وهم الصحابة رضي الله عنهم، مع قوّة إيمانهم وعلمهم؛ فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره. والله المستعان.

وروى ابن خزيمة في «صحيحه» عن محمود بن لبيد رضي الله عنه؛ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس! إياكم وشرك السرائر». قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه؛ فذلك شرك السرائر»(٢).

قال ابن القيّم رحمه الله تعالى: «وأما الشرك الأصغر؛ فكيسير الرياء والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده» اهـ المقصود منه.

---

(١) حديث صحيح.

(٢) حديث حسن.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ إنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُم يوحى إليَّ أنَّما إلٰهُكُم إلٰهٌ واحِدٌ﴾؛ أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلٰهية شيء، بل ذٰلك كله لله وحده لا شريك له، أوحاه إليَّ. ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «أما اللقاء؛ فقد فسَّره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة (وذكر الأدلَّة على ذٰلك)» اهـ. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً﴾، والعمل الصالح هو الخالص من الرياء ونحوه المقيد بالسنة. ﴿ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾، و(أحداً) نكرة في سياق النهي، تعم كل معبود من دون الله، سواء كان نبيّاً أو ملكاً أو وليّاً أو غير ذٰلك؛ فلا يجوز أن يُدْخَل في العبادة شرك أكبر ولا شرك أصغر، ولا يُصرف شيء منها لغير الله كائناً من كان؛ لأن العبادة حقه تعالى، ولا تنبغي إلَّا له وحده لا شريك له.

وقد فسرت هٰذه الآية بالرياء في قوله: ﴿ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾؛ كما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»، ثم أورد الأحاديث في الشرك الأصغر والرياء ونحو ذٰلك.

ولكن الآية ـ كما تقدم ـ متضمنة للنهي عن الشرك كله؛ كبيره وصغيره، قليله وكثيره.

وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري؛ تركته وشركَهُ».

فالله سبحانه لا يقبل إلَّا العمل الخالص له وحده لا شريك له؛ لكمال غناه جلَّ وعلا.

وأما تفصيل الرياء والعمل لغير الله تعالى؛ فقد ذكره العلماء وشرَّاح

الحديث في مصنفاتهم، ولكن نذكر شيئاً من ذٰلك:

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في «جامع العلوم والحكم»: «واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياءً محضاً؛ كحال المنافقين؛ كما قال تعالى: **﴿وإذا قاموا إلى الصَّلاةِ قاموا كُسالى يُراؤونَ النَّاسَ ولا يَذْكُرونَ اللهَ إلَّا قَليلاً﴾** [النساء: ١٤٢]، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء: فإن شاركه من أصله؛ فالنصوص الصحيحة تدلُّ على بطلانه، فإن خالط نيَّة الجهاد مثلاً نيَّة غير الرياء؛ مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة؛ نقص بذٰلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكليَّة، وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نيَّة الرياء: فإن كان خاطراً ثم دفعه؛ فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه؛ فهل يحبط عمله أم لا فيجازى على أصل نيَّته؟ في ذٰلك اختلاف بين العلماء من السلف: فبعض العلماء يبطله بالكليَّة، وبعضهم يقول: إن استرسل معه؛ فله أجر إخلاصه وعليه وزر الرياء، وأما إذا عمل العمل لله خالصاً، ثم ألقىٰ الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذٰلك، ففرح بفضل الله ورحمته؛ لم يضره ذٰلك، وفي هٰذا المعنى جاء حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير، ويحمده الناس عليه، فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»». خرَّجه مسلم. اهـ المقصود منه ملخَّصاً، والعلم عند الله تعالى.

● **(النوع الثالث من أنواع الشرك: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هٰذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل»، وكفَّارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»).**

أي: النوع الثالث من أنواع الشرك ـ وهو آخرها ـ شرك خفي، وحكمه كحكم الشرك الأصغر، وسمِّي خفيّاً لكونه يخفى على المرء نفسه، فضلاً عن

غيره، أو لكون صاحبه يخفيه عن الناس، فلا يطَّلع عليه إلا الله الذي لا تخفى عليه خافية؛ كما قد سمِّي بذلك أيضاً الشرك الأصغر ـ وهو الرياء ـ في حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً عند أحمد وابن ماجه[1]، والمقصود: أن الشرك الخفي دقيق جدّاً، نسأل الله السلامة.

والدليل على الشرك الخفي قوله ﷺ: «الشرك في هٰذه الأمة أخفى من دبيب... » إلخ[2]، وهٰذا الحديث رواه بنحوه الإمام أحمد وغيره، وستأتي أحاديث بنحوه؛ فتأمل.

وقد أورد نحو هٰذا الحديث الإمام المجدِّد شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في «كتاب التوحيد» عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، فقال:

«باب قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلوا لِلهِ أَنْداداً وأَنْتُم تَعْلَمونَ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هٰذا؛ لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار؛ لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هٰذا كله به شرك»، رواه ابن أبي حاتم[3]» اهـ.

قال المجدِّد الثاني العلَّامة عبد الرحمٰن بن حسن رحمه الله تعالى في «فتح المجيد» على هٰذا الأثر: «بيَّن ابن عباس رضي الله عنهما أن هٰذا كله من

---

(١) حديث حسن. راجع «فتح المجيد» وغيره.

(٢) وهو حسن بشواهده، وانظر ما يأتي بعده من الأحاديث التي بنحوه.

(٣) بسند حسن.

الشرك، وهو الواقع اليوم على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك؛ فتنبَّه لهٰذه الأمور؛ فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه؛ لكونه من أكبر الكبائر، وهٰذا من ابن عباس رضي الله عنه تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى» اهـ.

وقد جاء نحو ما تقدم حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ...﴾ [آل عمران: ٣١] الآية». رواه: الإمام أحمد، والحاكم، والحكيم، وغيرهم[١].

ولما كان هٰذا الشرك بهٰذه المنزلة من الخفاء والدقة والصعوبة؛ كان من يسلم منه أقل القليل ممَّن سلَّمه الله تعالى وتفضَّل عليه.

فلهٰذا شرع المصطفى الكريم الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم صلوات الله وسلامه عليه لهٰذا الشرك كفَّارة تمحوه لمن يمنُّ الله عليه ويتقبل منه، وهي قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».

وهٰذا الدعاء جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه[٢].

---

(١) وهو حديث حسن بشواهده.

(٢) وهو حديث حسن بشواهده، وفي أوله: «يا أيها الناس! اتقوا هٰذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل... إلخ»؛ ففيه شاهد لما تقدم؛ فتأمل.

وروى البخاري في «الأدب المفرد» وابن المنذر وأبو يعلى وابن أبي حاتم وغيرهم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل». قال أبو بكر: يا رسول الله وهل الشرك إلاَّ ما عبد من دون الله أو ما دعي من دون الله؟ قال: «ثكلتك أمك، الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، ألا أخبرك بقول يذهب صغاره وكباره (أو قال: صغيره وكبيره)؟». قال: بلى. قال: «تقول كل يوم ثلاث مرَّات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم. والشرك أن تقول: أعطاني الله وفلان، والندُّ أن يقول الإنسان: لولا فلان؛ قتلني فلان»[1].

فعلى المسلم الناصح لنفسه، الخائف من عذاب ربه: أن يهتمَّ بتعلم التوحيد ومايضاده وينافيه أو ينقصه أو يقدح فيه، وليس مرادنا التعلم الإجمالي كما يظنه مَن لا بصيرة عنده ممن يثبطِّ الناس عن تعلمه، ويغرهم بأنهم أهل التوحيد؛ فلا حاجة ماسَّة إلى تفهمه وتكراره، والعياذ بالله، ثم يحثهم على علوم ضررها أعظم من نفعها، بل مرادنا التعلم الإجمالي والتفصيلي للتوحيد بأنواعه الثلاثة، خصوصاً توحيد الألوهيَّة وما يتبعه ويلتحق به علماً وعملاً، وتوحيد الأسماء والصفات وما يتفرع عليه وما يدلُّ عليه وما يثمره من الخيرات والأحوال المباركات علماً واعتقاداً وعملاً، حتى يكون المسلم على حقيقة من دينه وبصيرة من أمره، وليعبد الله على نور وهدى، وعلى حسب تحقيق ذلك ومعرفته علماً وعملاً يكمل إيمان العبد، ويزداد يقينه؛ كما قال تعالى: ﴿الذينَ آمَنوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئكَ لَهُمُ الأمْنُ وهُم مُهْتَدونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ فبحسب تحقيق التوحيد وتصفيته وتنقيته يكون الأمن والاهتداء؛ فالأمن التام والاهتداء التام يحصل لمن سعى في إتمام ذلك، ويحصل لمن ليس كذلك من

(١) حديث صحيح بشواهده.

نقص الأمن والاهتداء بحسبه[1].

وراجع آخر الكلام على النوع الثاني من أنواع التوحيد، وتأمل كلام شيخ الإسلام المجدِّد رحمه الله تعالى وكلام الإمام العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله، ولا تترك الحق لقلَّة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين، بل اطلب العلم النافع على جادَّة السلف الصالح، خصوصاً علم التوحيد بأنواعه ومعرفة أضداده.

وقد كان أحد العلماء الصالحين مع سعة علمه وقوة دينه وتوقُّد بصيرته في زمنٍ قليل الشبهات كثير الخيرات يكرِّر كتب التوحيد من متون الإمام المجدِّد رحمه الله دائماً وأبداً مدَّة حياته، فقيل له في ذٰلك؟ فقال: نحن إذا أحكمنا الأساس؛ سَهُلَ علينا البناء بعد ذٰلك؛ فرحمه الله رحمة واسعة.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى: «وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا على الإسلام، والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله؛ فهم مسلمون، ومعهم إيمان مجمل، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئاً فشيئاً إن أعطاهم الله ذٰلك، وإلَّا؛ فكثير من الناس لا يَصلون إلى اليقين، ولا إلى الجهاد، ولو شُكِّكوا لشَكُّوا، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا؛ إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوَّة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال؛ فهٰؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا؛ دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم، فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب، وإلَّا؛ صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من

---

(١) وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد» (٢ / ٢٣) مؤسسة الرسالة، فصلًا في أسباب شرح الصدور وبيَّن أن أعظمها: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته إنشراح صدر صاحبه . . . الخ.

النفاق» اهـ. من «فتح المجيد».

فتنبه أيها المسلم، واسأل الله أن يرزقك البصيرة في الدين مع السعي في أسبابها؛ فإن المصيبة كل المصيبة مصيبة الدين، نعوذ بالله منها، ومن كان فيه أدنى حياة وإيمان؛ علم ذلك، وما لجرحٍ بميِّت إيلامُ.

وقد قال العلاَّمة حافظ الحكمي رحمه الله تعالى في «المنظومة الميميَّة»:

وكُـلُّ كَسْـرِ الفَتى فَالـدينُ جابِـرُهُ	والكَسْرُ في الدين صَعْبٌ غيرُ مُلتَئِمِ
دَعْ عَنْـكَ ما قالـهُ العَصْرِيُّ مُنْتَحِلاً	وبـالـعَتيقِ تَمَسَّـكْ قَطُّ واعْتَصِمِ

... إلى آخر ما قال رحمه الله.

فنسأل الله الكريم أن يرزقنا والمسلمين البصيرة في الدين، وأن يثبتنا وإيَّاهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يعيذنا وإيَّاهم من مضلاَّت الفتن، ما ظهر منها وما بطن، آمين.

●●●●●



أقسام الكفر وأنواعه

● **(الكفر كفران: الأول: كفر يخرج من الملَّة، وهو خمسة أنواع).**

لما انتهى المؤلف رحمه الله من ذكر الشرك وأنواعه؛ شرع في بيان الكفر.

والكفر لغةً يطلق على التغطية والستر والجحود وغير ذلك، والشرك والكفر قد يطلقان بمعنىً واحد، وهو الكفر بالله، واسم لمن لا إيمان له، وقد يفرق بينهما، فيخَصُّ الشرك بقصد الأوثان وغيرها من المخلوقات، مع الاعتراف بالله، فيكون الكفر أعم.

وإنما انقسم الكفر إلى نوعين: أكبر، وأصغر؛ لورود النصوص بكل منهما، وأن الأصغر لا يصل إلى حدِّ الأكبر؛ كما تقدم في نوعي الشرك.

فالأول من نوعي الكفر كفر أكبر: يخرج من الملَّة بالكليَّة، ويوجب الخلود في النار والعياذ بالله، وهو خمسة أنواع بالاستقراء والتتبع كما تقدم:

● **(النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى على الله كَذِباً أَو كَذَّبَ بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوىً**

للكافِرينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]).

أي: النوع الأول من أنواع الكفر الأكبر: كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل، وهٰذا النوع قليل في الكفَّار؛ فإن الله تعالى أيَّد رسله بالمعجزات، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجَّة وأزال به المعذرة:

قال الله تعالى عن فرعون وقومه: **﴿وجَحَدوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم ظُلْماً وعُلُوّاً. . .﴾** الآية [النمل: ١٤].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: **﴿فَإِنَّهُم لا يُكَذِّبونَكَ ولَكِنَّ الظَّالِمينَ بِآياتِ اللهِ يَجْحَدونَ﴾** [الأنعام: ٣٣].

والمقصود أن من كذب الرسل ظاهراً أو باطناً فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿ومَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: لا أحد أظلم وأشد عقوبة. **﴿مِمَّنِ افْتَرى عَلى اللهِ كَذِباً﴾**؛ بأن أشرك به، أو قال: أوحي إليَّ! ولم يوحَ إليه شيء؛ فهو مفتر. **﴿أَوْ كَذَّبَ بِالحَقِّ﴾**؛ أي: الكتاب أو النبي ﷺ. **﴿لمَّا جاءَهُ أَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوىً﴾**؛ أي: مأوى. **﴿لِلكافِرينَ﴾**؛ أي: فيها ذٰلك، وهو منهم، فسمَّاهم الله تعالى كافرين.

● **(النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿وإِذْ قُلْنا لِلملائِكَةِ اسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إِلَّا إِبْليسَ أَبى واسْتَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرينَ﴾ [البقرة: ٣٤]).**

وهٰذا النوع هو الغالب على كفر أعداء الرسل، وهو كفر إبليس لعنه الله؛ فإنه لم يجحد أمر الله، ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار.

ومن هٰذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم

ينقد له؛ إباءً واستكباراً؛ كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: أنهم قالوا: **﴿أنُؤمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وقومُهُما لنا عابِدونَ﴾** [المؤمنون: ٤٧].

وقول الأمم لرسلهم: **﴿إنْ أَنْتُم إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا﴾** [إبراهيم: ١٠].

وهو كفر اليهود؛ كما قال تعالى: **﴿فلَمَّا جاءَهُم ما عَرَفوا كفَروا بِهِ﴾** [البقرة: ٨٩].

وهو كفر أبي طالب أيضاً؛ فإنه صدق النبي ﷺ، ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحميَّة وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملَّتهم ويشهد عليهم بالكفر.

والدليل على هٰذا النوع: قوله تعالى: **﴿وإذْ قُلْنا لِلملائكةِ اسْجُدوا لآدَمَ﴾**، وهٰذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم، امتنَّ بها على ذريته؛ حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم. **﴿فَسَجَدوا﴾**؛ أي: الملائكة كلهم امتثالاً لأمر الله تعالى. **﴿إلَّا إبْليسَ أبى واسْتَكْبَر﴾**؛ كما قال تعالى: **﴿قالَ ما مَنَعَكَ أَنْ لا تَسْجُدَ إذْ أَمَرْتُكَ قالَ أنا خَيرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ﴾** [الأعراف: ١٢]، فلمَّا قال ذٰلك؛ لُعن وطُرد **﴿وكانَ مِنَ الكافِرينَ﴾**، وهٰكذا من فعل كما فعل؛ فهو مثله، **﴿وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبيدِ﴾** [فصلت: ٤٦].

● **(النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿ودَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبيدَ هٰذه أَبَداً . وما أَظُنُّ الساعةَ قائمَةً ولَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لأجِدَنَّ خيراً مِنْها مُنْقَلَباً . قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بالذي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً . لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾ [الكهف: ٣٥ ـ ٣٨]).**

وهٰذا النوع شديد الخطر جدّاً، خصوصاً في زماننا هٰذا الذي كثر فيه الجهل والشبهات وقلَّ فيه العلم النافع واليقين الصادق.

والشك: هو التردد، والظن: قريب منه، وضدُّ ذٰلك الجزم واليقين.

فالشاكُّ لا يجزم بصدق الرسل ولا بكذبهم، بل يشك في أمرهم والعياذ بالله، وهٰذا لا يستمرُّ شكُّه إلَّا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسل جملة؛ فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها ونظره فيها؛ فإنه لا يبقى معه شك؛ لأنها مستلزمة للصدق، ولا سيَّما بمجموعها؛ فإن دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار، والدليل على هٰذا النوع قوله تعالى: **﴿ودَخَلَ جَنَّتَهُ﴾**؛ أي: الرجل الذي أعطاه الله هٰذا البستان. **﴿وهُو ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾**؛ أي: بكفره وتمرُّده وتجبُّره وإنكاره للمعاد. **﴿قال ما أَظُنُّ أَنْ تبيدَ هٰذهِ أَبداً﴾**، وهٰذا اغترار منه، لمَّا رأى في جنَّتيه المتقدم ذكرهما من الزُّروع والثمار والأشجار والأنهار المطرده في جوانبها وأرجائها؛ ظنَّ أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف أبداً، وذٰلك لقلَّة عقله وضعف يقينه وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة، ولهٰذا قال: **﴿وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً﴾**؛ أي: كائنة. **﴿ولَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لأجِدَنَّ خيراً مِنها مُنْقَلَباً﴾**؛ أي: ولئن كان معاد ورجعة ومردٌّ إلى الله؛ ليكوننَّ لي هناك أحسن من هٰذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه؛ ما أعطاني هٰذا **﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ﴾**؛ أي: المؤمن. **﴿وهُوَ يُحاوِرُهُ﴾**؛ أي: يجاوبه. **﴿أَكَفَرْتَ بالذي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ﴾**، وهٰذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه، وابتدأ خلق الإنسان من طين، وهو آدم عليه السلام. **﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾**؛ أي من منيٍّ دافق وماءٍ مهين. **﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾**؛ أي عدلك وصيَّرك في أحسن صورة، **﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾**؛ أي لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانيَّة والربوبيَّة. **﴿ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾**؛ أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له... إلى آخر القصة؛ كما هي مبسوطة في «تفسير ابن كثير» رحمه الله ونحوه.

والشاهد قوله: **﴿أَكَفَرْتَ﴾**، فجعله كافراً بسبب الظن بالمعاد الذي هو

من جملة الدين.

● **(النـوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿والذينَ كَفَروا عَمَّا أُنْذِروا مُعْرِضونَ﴾ [الأحقاف: ٣]).**

وهٰذا النوع قد تقدم مثله في الناقض العاشر من نواقض الإسلام، والمراد به الإعراض الكلِّي؛ بأن يعرض بسمعه وقلبه وعمله عن الرسول ﷺ، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتَّة، والدليل قوله تعالى: ﴿**والذينَ كَفَروا**. . .﴾ الآية، فدلَّت هٰذه الآية على أن الإعراض عن دين الله تعالى كفر أكبر مخرج من الملَّة.

● **(النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنوا ثُمَّ كَفَروا فَطُبِعَ على قُلوبِهِم فَهُم لا يَفْقَهونَ﴾ [المنافقون: ٣]).**

وهٰذا النوع آخر أنواع الكفر الأكبر المخرج من الملَّة، وهو كفر النفاق، والمراد به الأكبر؛ كما سيأتي الكلام عليه وعلى أنواعه إن شاء الله تعالى.

والدليل على هٰذا النوع قوله تعالى: ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّهُم**﴾؛ أي: المنافقين. ﴿**آمَنوا ثُمَّ كَفَروا**﴾؛ كما قال الله تعالى: ﴿**وإذا لَقُوا الذينَ آمَنوا قالوا آمَنَّا وإذا خَلَوْا إلى شَياطينِهِم قالوا إنَّا مَعَكُم إنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئونَ . اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِم ويَمُدُّهُم في طُغْيانِهِم يَعْمَهونَ**﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥]؛ فلذٰلك قال تعالى: ﴿**فَطُبِعَ عَلى قُلوبِهِم فَهُم لا يَفْقَهونَ**﴾؛ أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي.

● **(النـوع الثـاني من نوعي الكفر، وهو كفر أصغر لا يخرج من الملَّة، وهو كفر النعمة، والدليل قوله تعالى: ﴿وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخَوْفِ بِما كانوا يَصْنَعونَ﴾ [النحل: ١١٢]).**

أي: النوع الثاني من نوعي الكفر: كفر أصغر، لا يخرج من الملَّة، ولا

يوجب الخلود في النار، وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة؛ أي: جحودها وعدم القيام بشكرها على الوجه المطلوب.

وكذلك جميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حدِّ الكفر الأكبر؛ فهو كفر أصغر؛ كقول النبي ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميِّت»، رواه مسلم؛ أي: هما بالناس كفر؛ حيث كانتا من أعمال أهل الجاهلية، وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلاَّ من سلَّمه الله تعالى ورزقه علماً وإيماناً يستضيء به.

ولكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً الإيمان المطلق، وفرق بين الكفر المعرَّف باللام ـ كما في قوله ﷺ: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، رواه مسلم ـ وبين كفرٍ منكَّرٍ في الإثبات؛ فهٰذا كفر دون كفر؛ كقول النبي ﷺ: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه؛ فهو كفر»، متفق عليه.

... إلى غير ذٰلك مما جاء في الكتاب والسنة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾؛ فهٰذا مثل أريد به أهل مكة؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرَّة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمناً لا يخاف. ﴿يَأْتيها رِزْقُها رَغَداً﴾؛ أي: هنيئاً سهلاً. ﴿مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾؛ أي: جحدت آلاء الله عليها، وأعظمها ـ على تفسير من فسَّرها بمكة ـ بعثة محمد ﷺ إليهم. ﴿فَأَذاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ﴾، فقحطوا سبع سنين. ﴿والخَوفِ﴾؛ أي: بسرايا النبي ﷺ وجيوشه. ﴿بِما كانوا يَصْنَعونَ﴾؛ أي: بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول ﷺ.

فعلى تفسير من جعل هٰذه الآية في أهل مكة يكون الكفر هنا كفراً أكبر،

وعلى قول من يجعلها قرية غير معينة[1] يكون الكفر هنا كفراً أصغر كغيره من أنواع الكفر الأصغر؛ كما تقدم.

وعلى كل حال؛ فليحْذَر العاقل من كفر نعمة الله؛ لئلا يحلَّ عليه ما حلَّ بهم.

●●●●●

(١) راجع «تفسير أضواء البيان» للعلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى.



أنواع النفاق

● **(النفاق نوعان: اعتقادي وعملي. النفاق الاعتقادي: ستة أنواع، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار).**

أي: النفاق ينقسم إلى نوعين؛ كما تقدم في الكفر قريباً، والنفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر.

فالنوع الأول: نفاق اعتقادي؛ أي: في القلب، وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر والعياذ بالله.

والنوع الثاني: نفاق عملي؛ أي: في الجوارح.

أما النوع الأول ـ وهو النفاق الاعتقادي ـ؛ فهو مخرج من الملَّة بالكلِّيَّة، وهو ينقسم إلى ستَّة أنواع، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار، تحت الكفَّار واليهود والنصارى.

قال العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين»[1]: «فصل: وأمَّا النفاق؛ فالداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئاً منه وهو لا يشعر؛ فإنه أمر خفي على الناس، وكثيراً ما يخفى على من تلبس به، فيزعم

(١) (١ / ٣٤٧).

أنه مصلح وهو مفسد.

وهو نوعان: أكبر وأصغر: فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذٰلك كلِّه، مكذب به، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس؛ يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه، ويخوِّفهم عقابه.

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلَّى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم، وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله؛ فإن بليَّة الإسلام بهم شديدة جدّاً؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد، فلله كم من معقلٍ للإسلام قد هدموه، وكم من حصنٍ له قد قلعوا أساسه وخرَّبوه...» إلخ كلامه رحمه الله.

ولولا خشية التطويل في هٰذا الشرح المختصر؛ لنقلنا كثيراً منه؛ لحلاوته، وعظم فائدته، فنسأل الله تعالى أن يعيذنا والمسلمين من النفاق كلِّه دقه وجلِّه، والله المستعان.

● (الأول: تكذيب الرسول ﷺ).

أي: النوع الأول من أنواع النفاق الاعتقادي: تكذيب الرسول ﷺ.

وهٰذا النوع أعظم الأنواع وضوحاً؛ لأنه يستلزم التكذيب بالدين كله، وهو حال المنافقين الخلَّص.

ودلائل هٰذا النوع من الكتاب والسنة واضحة أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر:

فمن ذٰلك قوله تعالى: ﴿ومِنَ الناس مَنْ يَقولُ آمَنَّا باللهِ وباليَوم الآخِرِ وما هُم بِمؤمِنينَ . يُخادِعونَ اللهَ والذينَ آمَنوا وما يَخْدَعونَ إلَّا أنْفُسَهُم وما يَشْعُرونَ . في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ولَهُم عَذابٌ أَليمٌ بِما كانوا يَكْذِبونَ . . .﴾ الآيات [البقرة: ٨ - ١٠].

وقوله تعالى في أول سورة المنافقين: ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقونَ قالوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسولُهُ واللهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقينَ لَكاذِبونَ . . .﴾.

إلى غير ذٰلك.

● **(الثاني: تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ).**

وهٰذا النوع من أنواع النفاق الاعتقادي الموجب للخلود في النار أقل من الذي قبله، ولكنه أشدُّ خطراً منه؛ لأنه قد يقع فيه المسلم وهو لا يشعر عياذاً بالله من ذٰلك؛ فإن المرء قد ينكر شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولا يصدق به، وهو لا يعلم أن ذٰلك نوع من أنواع النفاق الأكبر المخرج من الملَّة، فيكون منافقاً من المنافقين الخالدين في النار.

وهٰذا إنما يقع ممَّن لا يعرف حق المصطفى ﷺ كما ينبغي، وإلَّا؛ فالمسلم الصادق إذا سمع شيئاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ؛ صدقه وآمن به من أول وهلة، سواء فهم معنى ذٰلك أو لم يفهمه، فإن فهمه؛ فالحمد لله، وإن لم يفهمه؛ فإنه يسأل أهل العلم عنه.

أما من يقابل ماثبت عن النبي ﷺ بالتكذيب والإنكار لأنه خالف هواه

وعادته أو مذهبه أو نحو ذٰلك؛ فإنه على خطر شديد من دخوله فيما تقدم، ولكن إطلاق النفاق الأكبر المخرج من الملّة على المسلم ليس بالأمر الهيِّن، خصوصاً إذا كان كلامه أو فعله محتملاً لغير ذٰلك.

وتقدم نحو هٰذا الكلام على الناقض السادس من نواقض الإسلام؛ فراجعه إن شئت، والله أعلم.

● (**النوع الثالث: بغض الرسول ﷺ**).

وهٰذا النوع والعياذ بالله لا يصدر إلاَّ من زنديق خبيث.

فمن أبغض النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ فهو منافق ملعون خالد مخلد في نار جهنم أبداً.

وما أكثر المبغضين للنبي ﷺ في هٰذا الزمن ممن يتسمَّى باسم الإسلام وهو كذاب خبيث، يودُّ لو اجتثَّ دين الإسلام من أصله، ومحاه من الأرض بالكلية، ويأبى الله إلاَّ أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون والمنافقون.

فهٰؤلاء هم أعداء الإسلام الباطنون الذين هم أشدُّ على الإسلام وأهله من أعدائه الظاهرين.

فنسأل الله أن يكفينا والمسلمين شرهم، وأن يجعل كيدهم في نحورهم، وتدبيرهم في تدميرهم وجميع أعداء الدين، والله المستعان.

● (**الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ**).

وهٰذا النوع أخص من الذي قبله؛ فإنه قد يصدر من مسلم يحب الرسول ﷺ وما جاء به، ولكن لجهله وشقائه يستفزه الشيطان ويغويه فيبغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، فيقع في النفاق الأكبر وهو لا يدري، وأعظم من ذٰلك أنه قد يكون عاملاً بما أبغضه، ولم يخالفه في الظاهر؛ فلا ينفعه ذٰلك؛ كما تقدم

في الناقض الخامس من نواقض الإسلام، وهو: «مَنْ أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به؛ كفر».

مثل من يبغض الصوم ولو كان يصوم، ونحو ذٰلك، وكمن يبغض تحريم الربا ولو لم يفعله، أو يبغض تحريم الزنى ولو لم يفعله، أو يبغض سنية إعفاء اللحية ولو كان يعفيها... إلى غير ذٰلك مما ورد في الكتاب والسنة.

فهٰذا النوع دقيق شديد الخطر، قد يقع فيه المرء وهو لا يشعر، فيجب على المسلم الحذر منه، وأن يفتِّش نفسه ما دام على قيد الحياة، قبل أن يأتيه الأجل، فلا ينفعه حينئذٍ الندم، فنسأل الله السلامة لنا وللمسلمين في الدنيا والآخرة:

فَإنْ تَنْجُ مِنْها تَنْجُ مِنْ ذِي عَظيمَةٍ وإلَّا فَإنِّي لا إخالُكَ ناجِياً

● (الخامس: المسرَّة بانخفاض دين الرسول ﷺ).

أي: النوع الخامس من أنواع النفاق الاعتقادي المخرج من الملَّة: المسرَّة ـ وهي السرور والاستبشار والفرح ـ بانخفاض وهبوط دين الرسول ﷺ الذي هو دين الإسلام، ويدخل فيه أهل الإسلام؛ لأجل دين الإسلام ولأجل تمسكهم بالدين.

فمن سُرَّ بانخفاض الدين وأهله؛ فهو من المنافقين النفاق الأكبر؛ كمن يُسرُّ إذا انخفض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو أهين أهله وأذلوا لأجله؛ فهو منافق ملعون خارج عن دين الإسلام بالكليَّة، وكذٰلك من يفرح إذا أهينت معالم الإسلام، وأذلَّ أنصاره، أو استبدلت أحكامه، أو ضيعت شرائعه، أو عطِّلت حدوده، أو مات حماته؛ فهٰذا هو مطلوب المنافقين لعنهم الله وأخزاهم وأرانا بهم عجائب قدرته.

كما قال تعالى في سورة التوبة التي أطنب تعالى في ذكر صفات المنافقين وأعمالهم فيها؛ فلذلك تسمى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين وكشفت عوراتهم وهتكت أسرارهم: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾؛ من نصرٍ وعزٍّ وفتح. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾؛ أي: وتحزنهم؛ لأنه يسرُّ النبي ﷺ والمسلمين. ﴿وإِنْ تُصِبْكَ مُصيبَةٌ يَقولوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ ويَتَوَلَّوا وهم فَرِحونَ﴾ [التوبة: ٥٠].

فهٰذه الآية جمعت بين النوع المذكور وبين النوع السادس الذي بعده، وهٰذان النوعان من أشهر علامات المنافقين قديماً وحديثاً، والله المستعان.

● (السادس: الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ).

وهٰذا النوع آخر الأنواع، والكلام عليه قريب من الكلام على الذي قبله؛ فالمنافقون إذا ظهر الدين وعلا وانتصر؛ غاظهم ذٰلك أشد الغيظ، وحزنوا أشد الحزن، وانقمعوا عند ذٰلك، وداهنوا؛ كما هم في النوع المتقدم يتميزون ويكشفون عن أنفسهم ويبدون ما في قلوبهم ويطيرون من شدة الفرح، وهنا يموتون من الحنق والحزن، بل إذا سمعوا بأيِّ شيء قليل أو كثير من الدين أنه ارتفع وانتصر؛ كرهوا ذٰلك واغتمُّوا، وبعضهم أو كثير منهم يظهر كراهيته ولا يصبر عن كظم غيظه من شيء يجده من الغم والهم والأسى بسبب ظهور الدين واعتزازه والعياذ بالله.

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يقرَّ أعيننا وأعين المسلمين بنصرة دينه القويم عاجلاً غير آجل، وأن يجعلنا من أنصار دينه وشرعه، وأن يصلح ولاة أمور المسلمين، ويجعلهم هادين مهتدين؛ كما نسأله أن يذلَّ أعداء الدين ويدمرهم، خصوصاً المنافقين وأشباههم، الذين هم بين أظهرنا؛ آمين.

وبهٰذا النوع تمَّت أنواع النفاق الاعتقادي الستة التي صاحبها في الدرك

الأسفل من النار؛ فينبغي ويجب على المسلم الناصح لنفسه أن يحذر منها أشد الحذر، وأن يسأل الله تعالى أن يعيذه من النفاق كله دقِّه وجلِّه، والله الموفق، لا إلٰه غيره، ولا ربَّ سواه.

● (النفاق العملي خمسة أنواع).

أي: النوع الثاني من نوعي النفاق نفاق أصغر، غير مخرج من الملَّة، وهو النفاق العملي في الظاهر دون الباطن؛ كأن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذٰلك في غير العلانية.

قال الحسن: «من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج» اهـ.

والنفاق العملي خمسة أنواع، كل نوع منها خصلة من خصال النفاق، وإذا اجتمعت الأنواع كلها في شخص أو أكثرها؛ فإنه يخشى عليه أن يكون من أهل النفاق الأكبر المخرج من الملَّة؛ لأن النفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر؛ كما أن المعاصي بريد الكفر.

فكما يخشى على من أصرَّ على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت؛ كذلك يخشى على من أصرَّ على خصال النفاق أو خصلة منه أن يسلب الإيمان، فيصير منافقاً خالصاً، ويقع في النفاق الأكبر وهو لا يشعر والعياذ بالله.

وقد اشتدَّ خوف الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من النفاق كلِّه دقِّه وجلِّه؛ كما خاف عمر رضي الله عنه من النفاق، وسأل حذيفة رضي الله عنه، فقال له: يا حذيفة! نشدتك بالله هل سمَّاني لك رسول الله ﷺ من المنافقين؟ قال: لا، ولا أُزكي بعدك أحداً. اهـ. خشية أن ينفتح هٰذا الباب، فيسأله من هو من المنافقين، فيحصل بذٰلك مفاسد.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه»: «قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه».

ويذكر عن الحسن: أنه قال: «ما خافه إلاَّ مؤمن، وما أمنه إلاَّ منافق» اهـ.

وسمع رجل أبا الدرداء رضي الله عنه يتعوذ من النفاق في صلاته، فلما سلم؛ قال له: ما شأنك وشأن النفاق؟ فقال: «اللهم غفراً (ثلاثاً)، لا تأمن البلاء، والله؛ إنَّ الرجل ليفتن في ساعة واحدة، فينقلب عن دينه».

والآثار في هذا كثيرة جدّاً[1].

● **(والدليل قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». وفي رواية: «وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»).**

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، والرواية الثانية أخرجاها عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيها أن من كنَّ فيه؛ كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ؛ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها.

فقوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث»؛ أي: علامة المنافق الدَّالة على نفاقه ثلاث خصال، وفي رواية مسلم: «وإن صام وصلَّى وزعم أنه مسلم». ومع الرواية الأخرى تكون الخصال خمساً.

والمراد بهذا النفاق نفاق العمل، وهو النفاق الأصغر؛ كما تقدم بيانه.

فالأولى من هذه الخصال الخمس: «إذا حدَّث كذب».

---

(١) ذكر غالب ما تقدم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في «جامع العلوم والحكم» على الحديث (رقم ٤٨).

وهٰذه خصلة ذميمة قبيحة؛ فإن الكذب في الأصل حرام؛ إلَّا ما استثني للمصلحة ونحو ذٰلك؛ كما بينه الإمام النووي رحمه الله في «رياض الصالحين» وغيره.

فمن الأحاديث الدَّالة على ذم الكذب حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البرّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتَّى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً». متفق عليه.

وكذٰلك ما رواه البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث الرؤيا العظيم الطويل، وفيه: «وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرْشَرُ شدقُه (أي: يشق ويقطع) إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه؛ فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، (وفي رواية:) فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة».

والآيات والأحاديث في ذمِّ الكذب كثيرة جدّاً.

الخصلة الثانية: «إذا وعد أخلف».

وإخلاف الوعد على نوعين:

أحدهما: أن يعد ومن نيته أن لا يفي بوعده، وهٰذا أشر الخلف.

الثاني: أن يعد ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له، فيخلف، من غير عذر له في الخلف.

أما إذا كان من نيته أن يفي، ولكن حصل له عذر أو نحوه؛ فلا يكون داخلاً في هٰذه الخصلة المذمومة. والله أعلم.

الخصلة الثالثة: «إذا ائتمن خان».

قال الله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تَخونوا اللهَ والرسولَ وتَخونوا أماناتِكُم وأنتم تَعْلَمونَ**﴾ [الأنفال: ٢٧].

فإذا ائتمن الرجل أمانة؛ فالواجب عليه أن يؤديها؛ كما قال تعالى: ﴿**إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أَهلِها...**﴾ الآية [النساء: ٥٨].

وقال النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك»، رواه: أبو داود، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي[1].

الخصلة الرابعة: «إذا خاصم فجر».

والمقصود بالفجور هنا: أن يخرج عن الحق عمداً، حتى يصيِّر الحق باطلاً، والباطل حقّاً، وهٰذا مما يدعو إليه الكذب؛ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم قريباً.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ؛ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم».

وفيهما عنه ﷺ؛ قال: «إنَّ من البيان لسحراً».

فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة ـ سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا ـ على أن ينتصر للباطل، ويخيِّل للسامع أنه حق، ويوهن الحق، ويخرجه في صورة الباطل؛ كان ذٰلك من أقبح المحرمات، ومن أخبث خصال النفاق.

وفي «سنن أبي داود» عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «من خاصم في باطل وهو يعلمه؛ لم يزل في سخط الله حتى ينزع»، ورواه:

(١) حديث صحيح بشواهده.

أحمـد، والحـاكم وصححـه ووافقه الذهبي[1]. وفي رواية: «ومن أعان على خصومة بظلم؛ فقد باء بغضب من الله».

الخصلة الخامسة: «إذا عاهد غدر»؛ أي: لم يف بالعهد.

وقـد أمـر الله بالـوفـاء بالعهد؛ كما قال تعالى: **﴿وأَوفوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عاهَدْتُم ولا تَنْقُضوا الأيمانَ بَعْدَ تَوْكيدِها وقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُم كَفيلاً...﴾** الآية [النحل: ٩١].

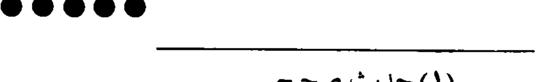
وفي «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «لكل غادر لواء يوم القيامة، فيقال: ألا هٰذه غَدرة فلان».

واعلم أن الغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافراً، ولهٰذا في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «من قتل نفساً معاهداً بغير حقها؛ لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»، خرجه البخاري.

وقد أمر الله تعالى بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم، ولم ينقضوا منها شيئاً، وأما عهود المسلمين فيما بينهم؛ فالوفاء بها أشد، ونقضها أعظم إثماً.

والمقصـود: أن هٰذه الخصـال من صفـات المنافقين، وأنها من النفاق الأصغر الذي هو وسيلة إلى النفاق الأكبر؛ فيجب على المسلم اجتنابها والحذر منها، وأن لا يتساهل في شيء منها؛ لكونها من النفاق الأصغر؛ فإن ذٰلك من الخذلان. والله المستعان.

●●●●●



(١) حديث صحيح.

الطاغوت

● (معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه).

هٰذا شروع من المؤلف في ذكر معنى الطاغوت وذكر رؤوس أنواعه، والطاغوت لغةً مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، وكل شيءٍ جاوز المقدار والحدَّ في العصيان؛ فهو طاغٍ.

ومن ذٰلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الماءُ...**﴾ [الحاقة: ١١]؛ أي: كثر وزاد على الحد بإذن الله تعالى، وطغى السيل: ارتفع حتى جاوز الحدَّ في الكثرة.

● **(اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]).**

قد تقدم معنى كلمة (اعْلَم)، وأنها يؤتى بها عند ذكر الأمور المهمة.

ورحمك الله تعالى: دعاء لك بالرحمة؛ أي: غفر لك ما مضى، ووفقك وعصمك فيما يستقبل.

وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة؛ فالمغفرة لما مضى، والرحمة سؤال السلامة

من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل.

وهٰذا من حسن عناية الشيخ ونصحه وقصده الخير للمسلمين؛ فجزاه الله خيراً وغفر له.

وقوله: «أول ما فرض الله»؛ أي: ألزم وأوجب.

«على ابن آدم»؛ أي: الناس، وآدم عليه السلام هو أبو البشر، وإنما ذكر بني آدم وهم الإنس دون الجن وإن كانوا داخلين في ذٰلك؛ لشرف بني آدم على الجن؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ...﴾ الآية [الإسراء: ٧٠]، وغير ذٰلك من الآيات.

والدليل على دخول الجن في ذٰلك وأنهم داخلون تحت التكليف: قوله تعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]... إلى غير ذٰلك من الآيات، وهٰذا واضح جدّاً، ولله الحمد.

فأول ما فرض الله على عباده الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ويأتي بيان ذلك.

وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط للإيمان بالله، والشرط مقدم على المشروط؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغوتِ ويُؤْمِنْ باللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوةِ الوُثْقى لا انْفِصامَ لَها...﴾ الآية [البقرة: ٢٥٦]، ولأن المشركين عباد الطواغيت يؤمنون بالله ويعبدونه، ولكن عبادتهم لا تسمَّى عبادة مع الشرك المنافي للتوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، وإيمانهم بالله لا ينفع مع إيمانهم بالطاغوت.

والكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو معنى (لا إلٰه إلا الله)؛ لأنها تشتمل على النفي ـ وهو الكفر بالطاغوت ـ والإثبات ـ وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له ـ. وهٰذا أول فرض فرضه الله على عباده، وأعظم شيء على الإطلاق، بل

لم يبعث الله الرسل، ولم ينزل الكتب، ولم يخلق الثقلين، ولم يوجد الجنة والنار؛ إلا لأجل عبادته وحده لا شريك له.

وهٰذا هو الأصل والأساس؛ كما تقدم في أوَّل الكتاب أن أصل الدين وقاعدته أمران، أما سائر الأوامر والنواهي؛ فهي فرع لهٰذا الأصل؛ فلا يؤمر بها ولا تقبل إلَّا بعد وجوده.

والدليل على ما تقدم: قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ أي: طائفةٍ وقرن وجيل من الناس. ﴿رسولاً﴾؛ منذ حدث الشرك في قوم نوح إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ. ﴿أَنِ اعْبُدوا اللهَ﴾؛ أي: وحِّدوا الله تعالى وأفردوه بالعبادة. ﴿واجْتَنِبوا الطَّاغوتَ﴾، والطاغوت عام لكل ما يعبد من دون الله. وقوله: ﴿واجْتَنِبوا﴾: أبلغ من (اتركوا)؛ لأن اتركوا لعدم الفعل، واجتنبوا تقتضي ذٰلك وتقتضي المباعدة والمجانبة. والآيات في هٰذا المعنى كثيرة جدّاً.

وأما الأحاديث؛ فمنها قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله...» الحديث.

وقوله ﷺ أيضاً في الحديث المتفق عليه لما بعث معاذاً إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله...» الحديث.

... إلى غير ذٰلك من الأحاديث، وقد تقدم بعضها في أوائل الكتاب؛ فتأمل.

● **(فأما صفة الكفر بالطاغوت؛ فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم).**

هٰذا بيان صفة الكفر بالطاغوت في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُر بالطَّاغوتِ﴾، وذٰلك أن تعتقد بقلبك اعتقاداً جازماً لا تردُّد فيه بطلان و فساد

عبادة غير الله سبحانه، كائناً من كان سواء كان المعبود مع الله، نبيّاً أو مَلَكاً أو وليّاً أو قبراً أو غيز ذٰلك؛ لأن العبادة كلها حق لله وحده على عباده، لا تصلح إلا له، ولا تليق إلا به؛ لأنه هو المستحق لها دون ما سواه.

فإذا علمت ذٰلك؛ فعليك أن تترك عبادة غير الله سبحانه بالكليَّة، وتفارقها، وتتبرأ منها ومن أهلها، وتبغضها ظاهراً وباطناً، وتمقتها أشد المقت؛ لأنها أعظم ذنب على الإطلاق، وأبطل الباطل، وأظلم الظلم، وأن تكفِّر أهلها، وتصرح بذٰلك، فإن لم تكفرهم أو ترددت في كفرهم أو توقفت عن تكفيرهم وقلت: ما عليَّ منهم؟ فأنت كافر مثلهم؛ كما تقدم بيان ذٰلك في الناقض الثالث من نواقض الإسلام، وأن تعاديهم وتظهر ذٰلك؛ كما سيأتي الكلام عليه عند تفسير آية الممتحنة إن شاء الله تعالى.

● **(وأما معنى الإيمان بالله؛ فأن تعتقد أن الله هو الإلٰه المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم).**

أي: وصفة الإيمان بالله كما في قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْمِنْ بِاللهِ**﴾؛ فأن تعتقد أن الله تعالى هو الإلٰه المعبود، والمعبود تفسير للإلٰه؛ أي: هو ذو الألوهيَّة والعبودية على خلقه أجمعين، وهو الذي تصرف له العبادة كلها له وحده دون من سواه؛ لأن العبادة لا تنبغي في الحقيقة إلا له وحده لا شريك له، وأن تخلِّص وتصفِّي جميع أنواع العبادة ظاهرة كانت أو باطنة من الشرك كلِّه، وتفردها كلها لله وحده، وتنفيها عن كل معبود سواه؛ لأنه لا إلٰه إلا الله، وأن تحب هٰذه الكلمة وما دلت عليه وتحب أهلها أهل الإخلاص لله وتواليهم، ولو كانوا بعيدين عنك، ولو كانت في بعضهم خصال ذميمة؛ لأن التوحيد يغطيها ويجبرها، ولأن محبتك لهم لأجل الله تعالى لا لشيء آخر، وأن تبغض وتكره أهل الشرك وتعاديهم، ولو

كانوا قريبين لك، ولو كانت فيهم بعض الخصال الجميلة؛ **لأن الشرك يغطيها ويكسرها، ولأن بغضك لهم إنما هو لأجل أنهم أعداء لله سبحانه، لا لشيء** آخر، وكذٰلك تبغض من أحبهم أو جادل عنهم والعياذ بالله، ولكن بشرط أن لا يحمل هٰذا البغض على ظلمهم؛ فإن الظلم حرام، حتى مع الكافر، بل يجب العدل مع بغضهم وعداوتهم؛ كما قال تعالى: ﴿**ولا يَجْرِمَنَّكُم شَنَآن قَوْمٍ على أنْ لا تَعْدِلوا اعْدِلوا**﴾ [المائدة: ٨].

ولكن؛ أين بغض أعداء الله فضلاً عن عداوتهم؟! لقد انعكس الأمر في هٰذا الزمان إلَّا ما شاء ربك، وذٰلك لغلبة الجهل وموت القلوب واختلاط الحابل بالنابل ونحو ذٰلك؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم؛ فعدوُّ الدين اليوم يُحَبُّ ويكرَّم ويبجَّل وينظر إليه بعين الإحترام والإعجاب ويسمَّى رفيقاً وصديقاً وحكيماً، والمتديِّن يكره ويهان ويحقَّر وينظر إليه بعين الازدراء والمقت ويسمَّى متشدِّداً ومتنطِّعاً ورجعيّاً؛ فالله المستعان، وهٰذا مصداق قول النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ»، رواه مسلم، ومن كان عنده أدنى علم وإيمان وبصيرة؛ علم ذٰلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ والذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُم**. . .﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنونَ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ ورَسولَهُ ولَو كانوا آباءَهم أَو أَبْناءَهم**. . .﴾ الآية: [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿**يا أَيُّها الذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذوا عَدوي وعَدُوَّكُم أَوْلِياءَ تُلْقونَ إليهِم بالمَوَدَّةِ**. . .﴾ الآية [الممتحنة: ١].

والآيات والأحـاديث في هٰذا المعنى كثيرة جدّاً، وواضحة لمن كان له قلب حيٌّ، والله الموفق.

● **(وهٰـذه ملَّة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهٰذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْراهيمَ والَّذينَ مَعَهُ إذْ قالوا لِقَوْمِهِم إنَّا بَراۤءُ مِنْكُم ومِمَّا تَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ كَفَرْنا بِكُم وبَـدا بَيْنَنـا وبَيْنَكُمُ العَـداوَةُ والبَغْضاءُ أَبداً حَتى تُؤْمِنوا باللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]).**

الإشارة إلى ما تقدم من بيان صفة الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وأنها هي ملَّة ـ أي: طريقة وشريعة ـ إبراهيم الخليل عليه السلام، وكذٰلك من قبله ومن بعده من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والموالاة فيه، والمعاداة فيه.

فهٰذه الطريقة هي التي سفه نفسه من رغب عنها أعظم السفه؛ كما قال تعالى: **﴿ومَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إبْراهيمَ إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾** [البقرة: ١٣٠]؛ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بسبب تركه الحق إلى الضلال؛ فأي سفه أعظم من هٰذا؟! وأي ظلم أكبر من هٰذا؟!

وهٰذه الملَّة العظيمة هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى: **﴿قَدْ كانَتْ لَكُم﴾**؛ أي: يا معشـر المسلمين. **﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**؛ أي: قدوة حسنة تتـأسـون بهـا. **﴿في إبْـراهيمَ والذينَ مَعَهُ﴾**؛ أي: من المرسلين. **﴿إذْ قالوا لِقَـوْمِهِم إنَّا بَراۤءُ مِنْكُم﴾**؛ أي: تبرأنا منكم، فلسنا منكم ولستم منا. **﴿ومِمَّا تَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ﴾**؛ أي: من الأوثان والأنداد. **﴿كَفَرْنا بِكُم﴾**؛ أي: بدينكم وطريقتكم. **﴿وبَدا﴾**؛ أي: ظهر. **﴿بَيْنَنا وبَيْنَكُم العَداوةُ والبَغْضاءُ أبداً﴾**؛ أي: ما دمتم على كفركم؛ فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ونعاديكم. **﴿حتى تُؤْمِنوا باللهِ وَحْـدَهُ﴾**؛ أي: إلى أن توحدوا الله وتفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد.

ويناسب هنا أن ننقل شيئاً من شعر العلاَّمة الفهَّامة حسَّان السنة في وقته سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى؛ فقد أجاد وأفاد حيث يقول:

ومِـلَّةُ إبْـراهـيمَ غُودِرَ نَهْـجُـهـا	عَفـاءً فَأَضْحَتْ طامِسـاتِ المَعالِمِ
وقَـدْ عُدِمَتْ فينـا وكيف وقد سَفَتْ	عَليهـا السوافي في جَميعِ الأقالِمِ
وما الدينُ إلَّا الحُبُّ والبُغْضُ والوَلا	كَذاك الـبَـرا مِنْ كُلِّ غاوٍ وآثِـمِ
ولَيْسَ لَهـا مِنْ سالِـكٍ مُتَمَسِّـكٍ	بدينِ النَبيِّ الأبْـطَحيِّ ابنِ هاشِمِ
فَلَسْنا نَرىٰ ما حَلَّ بِالدين وانْمَحَتْ	بِهِ المِلَّةُ السَمْحاءُ إِحْدى القواصِمِ
فَنـأْسى على التَّقْصيرِ مِنَّـا ونَلتَجي	إلى اللهِ في مَحوِ الذُّنوبِ العَظائمِ
ونَشْكو إلى اللهِ القُلوبَ التي قَسَتْ	ورانَ عَلَيهـا كَسْبُ تِلْكَ المَـآثِمِ
أَلَـسْـنـا إذا ما جاءَنـا مُتَضَمِّـخٌ	بأَوضارِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ كُلِّ ظالِمِ
نَهُشُّ إِلَـيهِـم بِالتَّـحِيَّةِ والـثَّـنـا	ونُـهْـرَعُ في إِكْـرامِـهِم بالـولائمِ
وقَدْ بَرِىءَ المَعْصومُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ	يُقيـمُ بِدارِ الشِّـرْكِ غَيْرَ مُصـارِمِ
ولكنَّمـا العَقْـلُ المعيشيُّ عِنْـدَنـا	مُسـالَمَـةُ العـاصِينَ مِنْ كُلِّ آثِمِ

. . . إلى آخر ما قال رحمه الله.

فإذا كان هٰذا في زمـانـه؛ فكيف في زماننا هٰذا؟! فنسأل الله السلامة والعافية لنا وللمسلمين.

● **(والطاغوت عامٌّ، فكل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبودٍ أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله؛ فهو طاغوت).**

أي: والطاغوت الذي تقدم معناه في اللغة عامٌّ، ولذا كثرت عبارات السلف في معنى الطاغوت؛ كما ذكر بعض ذٰلك شيخ الإسلام المجدِّد رحمه الله في «كتاب التوحيد»، ولكن جمع ذٰلك كله هٰذا التعريف الذي نقله الإمام المجدِّد في «الأصول الثلاثة» عن العلاَّمة ابن القيِّم رحمه الله بقوله:

قال ابن القيِّم رحمه الله: «الطاغوت ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع». اهـ.

أي: كل شيء يتعـدى به العبد حده ـ أي: قدره ـ الذي ينبغي له في الشرع يصير به طاغوتاً، سواء تعدى حده من معبود مع الله بأي نوع من أنواع العبادة، أو متبوع في معاصي الله، أو مطاع من دون الله؛ في تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله.

ثم قال ابن القيِّم رحمه الله: «فإذا تأملت طواغيت العالم؛ فإذا هي لا تخرج عن هٰذه الثلاثة».

● **(والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم يا بَني آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ﴾ [يس: ٦٠]).**

لمـا ذكـر رحمـه الله تعـالى تعـريف الطاغوت العام الشامل؛ بيَّن أن الطواغيت لذٰلك كثيرة جدّاً؛ فهم غير منحصرين بعدد لعنهم الله؛ لأن كل من انطبق عليه التعريف المتقدم؛ فهو طاغوت؛ شاء أم أبى.

ولكن رؤوس الطواغيت ـ أي: أكبرهم ـ بالاستقراء والتأمل خمسة:

فالأول ـ وهـو أخبثهم ورأسهم الأكبـر ـ: الشيطان لعنه الله، والشيطان يطلق على إبليس وعلى كل متمردٍ عاتٍ من شياطين الإنس والجن، ولكن المراد هنا إبليس الخبيث الداعي إلى عبادة غير الله بكل ما أمكنه من قوة ووسيلة.

والدليل قوله تعالى: **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم﴾**؛ أي: آمركم. **﴿يا بَني آدَمَ﴾**؛ أي: على ألسن رسلي. **﴿أَنْ لا تَعْبُدوا﴾**؛ أي: لا تطيعوا. **﴿الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُم عَدوٌّ مبينٌ﴾**؛ أي: بيِّن العداوة.

وهٰذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمٰن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ فنسأل الله الهداية لنا وللمسلمين.

● **(الثاني: الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الذينَ يَزْعُمونَ أَنَّهُم آمَنوا بما أُنْزِلَ إليكَ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُريدونَ أَنْ يَتحاكَموا إلى الطَّاغوتِ وقَدْ أُمِروا أَنْ يَكْفُروا بِهِ ويُريدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعيداً﴾ [النساء: ٦٠]).**

أي: الثاني من رؤوس الطواغيت: الحاكم الجائر ـ أي: الظالم ـ بسبب تغييره لأحكام الله تعالى واستبداله عنها بالقوانين الوضعية.

والكلام على هٰذا سيأتي قريب منه في الذي بعده؛ لأنهما يشملهما الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وإنما أفرد هٰذا بالذكر؛ لأنه أشنع مما بعده، وفي الأصول الثلاثة ذكر الشيخ رحمه الله بدلاً منه: «من دعا الناس إلى عبادة نفسه»؛ فعلى هٰذا يكون الثاني ها هنا داخلاً في الثالث، والله أعلم.

وأما قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ﴾**؛ أي: يا محمد. **﴿إلى الذينَ يَزْعُمونَ﴾**؛ أي: يدَّعون. **﴿أَنَّهُم آمَنوا بِما أُنْزِلَ إليكَ﴾**، وهو القرآن. **﴿وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾**؛ أي: من الكتب على الأنبياء والمرسلين، **فأكذبهم** الله في زعمهم الإيمان لما في ضمن **﴿يَزْعُمونَ﴾** من نفي إيمانهم؛ فإن (يزعمون) إنما يقال غالباً لمن ادَّعى دعوى هو فيها كاذب؛ لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها، يحقق هٰذا قوله: **﴿يُريدونَ أَنْ يَتحاكَموا إلى الطَّاغوتِ وقد أُمِروا أَنْ يَكْفُروا بهِ﴾**؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، فإذا لم يحصل هٰذا الركن؛ لم يكن موحِّداً، ومن لم يكفر بالطاغوت؛ لم يؤمن بالله. **﴿ويُريدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعيداً﴾**: بيَّن تعالى أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه

لمن أطاعه، وبيَّن تعالى أن ذٰلك مما أضلَّ به الشيطان من أضله، وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد، فدلَّ على أنَّ ذٰلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى.

وهٰذه الآية قيل في سبب نزولها عدَّة أقوال، ذكر بعضها الشيخ الإمام المجدِّد رحمه الله في «كتاب التوحيد»، ولكن اختار الحافظ ابن كثير رحمه الله أن الآية عامة في ذم من عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وأن هٰذا هو المراد بالطاغوت هنا. والله أعلم.

● **(الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الكافِرونَ﴾ [المائدة: ٤٤]).**

أي: الطاغوت الثالث من رؤوس الطواغيت: الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى؛ كمن يحكم بقوانين الجاهلية والقوانين الدوليَّة، بل جميع من حكم بغير ما أنزل الله، سواء كان بالقوانين أو بشيء مخترع وهو ليس من الشرع؛ فهو طاغوت من أكبر الطواغيت.

والدليل قوله تعالى: **﴿ومَنْ لَمْ يَحْكُم بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئكَ هُمُ الكافِرونَ﴾**، فسمَّاهم الله كافرين؛ لأن التحاكم إلى شرع الله من عبادة الله تعالى ومن مقتضى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن تحاكم إلى غير شرع الله؛ فقد عبد الطاغوت وانقاد له والعياذ بالله.

وللشيخ العلاَّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى رسالة مفيدة في الحكم بغير ما أنزل الله افتتحها بقوله: «إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذِرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والردِّ إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عزَّ وجلَّ: **﴿فَإِنْ تَنازَعْتُم**

في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ إنْ كُنْتُم تُؤمِنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْويلًا﴾ . . . » إلخ كلامه رحمه الله؛ فهي رسالة مهمة جدّاً، بيَّن فيها مسائل عديدة، وفصَّل فيها بين ما هو كفر أكبر وبين ما هو كفر أصغر؛ فلا يستغني عنها المسلم، خصوصاً طالب العلم.

هٰذا؛ ونسأل الله الكريم أن يصلح ولاة أمور المسلمين، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، وأن يوفقهم للعمل بكتابه وسنَّة نبيه ﷺ؛ إنه على كل شيءٍ قدير وبالإجابة جدير.

● **(الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً . إلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسولٍ فَإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَينِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلَّا هو ويَعْلَمُ ما في البَرِّ والبَحْرِ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلَّا يَعْلَمها ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلَّا في كِتابٍ مُبينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]).**

أي: الرابع من رؤوس الطواغيت، الذي يدعي علم الغيب من دون الله؛ أو يدعي شيئاً من علم الغيب لأن علم الغيب مما استأثر الله بعلمه فلا يعلم الغيب نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب فضلًا عن غيرهما:

كما قال تعالى: **﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّماواتِ والأرْضِ الغَيْبَ إلَّا اللهُ . . .﴾** الآية [النمل: ٦٥].

وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ الذي هو أعلم الخلق وأفضلهم على الإطلاق: **﴿قُلْ لا أقولُ لَكُم عِنْدي خَزائنُ اللهِ ولا أَعْلَمُ الغَيْبَ . . .﴾** الآية [الأنعام: ٥٠].

وكذٰلك في الآية الأخرى: **﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسي نَفْعاً ولا ضَرّاً إلَّا ما شاءَ**

اللهُ وَلَو كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنا إِلَّا نَذيرٌ وبَشيرٌ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فالله سبحانه هو عالم الغيب وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَموا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُم ونَجْواهُم وأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الغُيوبِ﴾** [التوبة: ٧٨].

فمن ادَّعى علم شيء من الغيب؛ فهو كافر وطاغوت كذَّاب؛ كمن يدَّعي علم المغيبات من المنجمين والرمالين والسحرة والكهَّان ونحوهم، بل من صدَّق من يدَّعي علم شيء من الغيب؛ فقد كفر؛ كما ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «ومن أتى عرَّافاً أو كاهناً، فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، حديث صحيح رواه الإمام أحمد وغيره.

فإذا كان هٰذا حكم المصدِّق؛ فكيف حال الفاعل؟! لا شكَّ أنه أعظم منه، وكفره أشدُّ منه.

والدليل على أن الله جلَّ وعلا قد استأثر بعلم الغيب وحده:

قوله تعالى: **﴿عالِمُ الغَيْبِ﴾**؛ أي: هو تعالى عالم ما غاب عن العباد. **﴿فَلا يُظْهِرُ﴾**؛ أي: يطلع. **﴿عَلى غَيْبِهِ أَحَداً﴾**؛ أي: من العباد. **﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسولٍ﴾**؛ أي: مرسل، وهٰذا يعمُّ الرسول الملكي والبشري. **﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾**؛ أي: يجعل ويسيِّر. **﴿مِنْ بينِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾**؛ أي: من الملائكة يحفظونه حتى يبلغ ما أوحي إليه.

وقوله تعالى: **﴿وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هو﴾**.

وهي الخمس المذكورات في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ...﴾** الآية، وستأتي.

كما صحَّ عن النبي ﷺ: أنه قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلَّا

الله: **﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الساعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأَرْحامِ وما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْري نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تموتُ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خبيرٌ﴾** [لقمان: ٣٤]»[1].

وقوله: **﴿ويَعْلَمُ ما في البَرِّ والبَحرِ﴾**؛ أي: علمه تعالى محيط بجميع الموجودات بريِّها وبحريِّها، لا يخفى عليه من ذلك شيء. **﴿وما تَسْقُطُ مِنْ ورَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها﴾**؛ أي: ويعلم الحركات، حتى من الجمادات؛ فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون، وهم الجن والإنس. **﴿ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إِلَّا في كِتابٍ مُبينٍ﴾**؛ أي: اللوح المحفوظ.

● **(الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿ومَنْ يَقُلْ مِنْهُم إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزيهِ جَهَنَّمَ كذٰلِكَ نَجْزي الظالِمينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]).**

أي: الطاغوت الخامس من رؤوس الطواغيت: الذي يعبد من دون الله - أي: مع الله - بأي نوع من أنواع العبادة وهو - أي: المعبود - راضٍ بالعبادة المصروفة له؛ فهو طاغوت.

فخرج بذلك من عُبد من دون الله وهو لم يرض بذلك؛ كالأنبياء، والملائكة، والأولياء، ونحوهم؛ فإنهم لم يرضوا بذلك، بل يتبرؤون منهم ومن عبادتهم لهم؛ كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ في آيات كثيرة وأحاديث شهيرة. فمن عُبد وهو راضٍ بالعبادة، سواء كانت ظاهرة أو باطنة؛ فهو طاغوت ملعون.

والدليل قوله تعالى: **﴿ومَنْ يَقُلْ مِنْهُم﴾**؛ أي: من ادَّعى منهم، وهم الملائكة عليهم السلام، وحاشاهم من ذلك، ولكن هذا كما تقدم من باب

---

(١) رواه البخاري.

الفرض والتقدير، مع أنه محال وقوعه. ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دونِهِ﴾؛ أي: من دون الله؛ أي: معه. ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: خالداً مخلداً فيها. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: كل من قال ذلك كائناً من كان؛ لأن الإلهية كلها لله وحده، لا شريك له، لا تنبغي إلَّا له وحده دون من سواه، وسمَّاهم الله تعالى ظالمين؛ لأن الشرك من الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه اللائق به، بل هو أظلم الظلم؛ كما قال تعالى عن لقمان أنه قال لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

أما من دعا الناس إلى عبادة نفسه ـ كما تقدمت الإشارة إليه عند ذكر الطاغوت الثاني ـ؛ فهو أعظم ممن عبد وهو راض، وهذا يصدر ممن يُقرُّ الغلوَّ والتعظيم بغير حقٍّ؛ كفرعون ومشايخ الضلال ونحوهم، الَّذين غرضهم العلوُّ في الأرض والفساد، واتخاذهم أرباباً، والإشراك بهم مع الله سبحانه، مما يحصل في مغيبهم وبعد مماتهم؛ كما حكي عن بعض أئمة الضلال: أنه قال: من كانت له حاجة؛ فليأت إلى قبري، وليستغث بي! فهذا والعياذ بالله قد بلغ الغاية في الكفر والعناد والاستكبار والفساد، فنسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

● **(واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلَّا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغوتِ ويُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انْفِصامَ لها واللهُ سَميعٌ عَليمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. الرشد: دين محمد ﷺ، والغيُّ: دين أبي جهل، والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات).**

أي: واعلم ـ وتقدم معناها ـ أيها المكلف أن الإنسان ـ أي: جنس

الإنسان من حيث هو إنسان ـ لا يصير مؤمناً بالله ـ أي : موحِّداً لله بالعبادة ، ولو عبد الله ليلاً ونهاراً ـ حتى يكفر بالطاغوت الذي تقدم تعريفه ؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن لوجود التوحيد ، فإذا اختلَّ هٰذا الركن ؛ لم يكن موحِّداً .

وقد قال شيخ الإسلام الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «كتاب التوحيد» عند ذكر مسائل باب تفسير التوحيد على قول النبي ﷺ : «من قال : لا إله إلاَّ الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ؛ حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عزَّ وجلَّ»[1] .

قال : «وهٰذا من أعظم ما يبيِّن معنى (لا إله إلاَّ الله) ؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذٰلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلاَّ الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذٰلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقَّف ؛ لم يحرم ماله ودمه . فيا لها من مسألة! ما أجلَّها وأعظمها! ويا له من بيان! ما أوضحه! وحجةٍ ما أقطعها للمنازع!» اهـ .

والدليل على ما تقدم قوله تعالى : ﴿**لا إكْراهَ في الدينِ قَدْ تبَيَّن الرُّشدُ**﴾ ، وهو دين محمد ﷺ الذي هو التوحيد . ﴿**مِنَ الغيِّ**﴾ ، وهو دين أبي جهل لعنه الله ، وهو الشرك . ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغوتِ ويُؤمِنْ باللهِ فَقَدِ استَمْسَكَ بالعُروةِ الوُثقى**﴾ ؛ أي : القوية التي من تمسك بها فقد فاز . ﴿**لا انفِصامَ لَها**﴾ ؛ أي : لا تنفصم ولا تنفك ، بل هي محكمة مبرمة قوية . ﴿**واللهُ سَميعٌ**﴾ ؛ أي : محيط سمعه بجميع المسموعات . ﴿**عَليمٌ**﴾ ؛ أي : محيط علمه بكل شيء .

وفي هٰذين الاسمين الشريفين إثبات صفتي السمع والعلم لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) رواه مسلم وغيره .

والعروة الوثقى: هي شهادة أن لا إله إلَّا الله؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وهٰذه العروة هي الكفيلة بإذن الله تعالى في النجاة من النار والخلود في الجنة، وهي متضمنة لركنين عظيمين، وهما النفي والإثبات؛ فـ (لا إله): نفي لجميع أنـواع العبادة ظاهرة أو باطنة عن غير الله تعالى كائناً من كان، و (إلَّا الله): إثبات لجميع أنواع العبادة ظاهرة أو باطنة لله وحده لا شريك له؛ لأنه هو المستحق لها دون من سواه.

ثم ختم المؤلف رحمه الله تعالى كتابه بقوله: «والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

والألف واللام في (الحمد) للإستغراق؛ أي: جميع المحامد لله ملكاً واستحقاقاً.

والحمد: هو الثناء بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة، سواء كان في مقابله نعمة أم لا.

قال شيخ الإسـلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى: «الحمد: ذكر محاسن المحمود مع حبِّه وإجلاله وتعظيمه، فإن تجرَّد عن ذلك؛ فهو مدح» اهـ.

وهٰذا الثناء العظيم كان النبي ﷺ يقوله إذا رأى ما يحب؛ كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره[١].

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، والحمد لله الـذي بنعمتـه تتم الصـالحات، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

●●●●●

(١) حديث صحيح. انظر «الأذكار» للنووي رحمه الله وغير ذلك.

تتمَّة

اعلم أن هٰذا الشرح؛ لما كان على حسب ما في المتن؛ لم نتعرض لمسألة مهمة ومشكلة خطيرة تحتاج إلى جزء مستقل وكلام طويل وتنبيه لفاعلها وتحذير له من مغبَّتها، ألا وهي السفر إلى بلاد المشركين، والإقامة بين أظهر الكافرين والعياذ بالله؛ فقد عظمت المصيبة والفتنة بها، خصوصاً في هٰذا الزمان الموحش، الذي ليس بزمن معاصٍ وكبائر فحسب، بل زمان ردَّة وضلال، وكفر وإلحاد، وزيغ وانتكاس، نسأل الله السلامة لنا وللمسلمين والمسلمات.

فيجب على المسلمين عموماً التنبُّه لذلك، ويجب على أهل العلم خصوصاً وعلى خطباء الجوامع وأئمة المساجد والوعاظ ونحوهم أن يبيِّنوا للناس خطورة السفر إلى بلاد المشركين، والذهاب إلى أماكن الكافرين، والإقامة بين أظهرهم، واستقدامهم لديار المسلمين.

فقد كثر سفر أكثر الجاهلين بدينهم إلى أوطان أعداء الله تعالى لأغراض تافهة، أو مقاصد سيئة، أو للنزهة والارتياح بين أظهر الكفرة الفجرة، نسأل الله العافية، وهٰذا من علامة الجهل والشقاء، وإلَّا؛ فكيف يليق بمسلم يؤمن بالله وكتابه ورسوله ﷺ، ويعلم أن الله افترض عليه محبة أولياءه المؤمنين وبغض أعداءه الكافرين، فضلاً عمَّن ينتسب إلى العلم: أن يذهب إلى بلاد

المشركين، ويجالس أعداء الله تعالى، ويخالطهم، ويسكن بين أظهرهم، ولا يظهر لهم دينه حقيقة؛ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، بل يداهنهم، ويسكت عن كفرهم ومنكراتهم وضلالهم، بل قد يضاحكهم وينبسط إليهم ويستأنس بهم والعياذ بالله، أو أعظم من ذٰلك: أن يوافقهم على منهاجهم وعلى مجالسهم التي يستهزئون فيها بدين الإسلام وأهله، ويمدحون فيها فرق الضلال والإلحاد، وأعظم من ذٰلك كله أن يتعلم منهم، ويتغذّى بعلومهم، ويشرب من قلّوط معتقداتهم، فيرجع وقد صار داعية من دعاتهم، وشيطانا من شياطينهم؟!

وجميع هٰذه الأفعال محرمة، بل أكثرها كفر وردَّة وخروج عن الإسلام بالكلية؛ كما سيأتي زيادة إيضاح وتفصيل إن شاء الله تعالى.

ولا يستعظم المسلم ما تقدم؛ فإن أعداء الله تعالى ـ لعنهم الله وأخزاهم ـ يسعون ليلاً ونهاراً في إفساد عقائد المسلمين وهم في ديارهم، وفي قعر بيوتهم، بكل وسيلة؛ كما هو المشاهد، ويحرصون على إبعادهم عن الكتاب والسنة ما استطاعوا إلى ذٰلك سبيلاً؛ فكيف إذا كانوا في أوطانهم وتحت قبضتهم وسلطانهم؟!

لا شك أنهم سيتمكنون من إفساد قلوبهم، ومن غسل أدمغتهم، ويجعلونهم من أنصارهم وأعوانهم، والله المستعان، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

ومعلوم أن أعداء الله تعالى لو قدروا على أهل الإسلام وتمكنوا منهم؛ لساموهم سوء العذاب، ولفتكوا بهم، واستحيوا نساءهم، ومزقوهم كل ممزق؛ كما لا يخفى على من عنده أدنى علم وإيمان وعقل صحيح، وليس الخبر كالعيان؛ فانظر بعين البصر يميناً وشمالاً؛ تر ما يشيب الرأس، وقبل ذٰلك بعين البصيرة إلى ما ذكره المؤرخون في مصنفاتهم مما جرى على أهل الإسلام من

الفتن والحروب والقتل والتشريد والعذاب المؤلم؛ بسبب أعداء الله تعالى وأعداء الإسلام وأهله؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار[1].

وبالجملة؛ فلا يغتر بأعداء الله تعالى ويذهب إليهم أو يركن إليهم ويساكنهم إلَّا مغرور قد زين له الشيطان ذٰلك؛ فنعوذ بالله من العمى.

إذا تبين ذٰلك؛ فنبدأ الآن بذكر الأحكام لهٰذه المسألة وما يلتحق بها من كلام أهل العلم المحققين، خصوصاً أئمة الدعوة الأعلام، وعلى رأسهم شيخِ الإسلام الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهَّاب، رحم الله الجميع بمنه وكرمه، وذلك من كتبهم المشهورة النافعة؛ كـ «مجموعة التوحيد»، و «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، و «الدرر السنيَّة»، ونحوها من كتبهم المعروفة، وكذلك عن غيرهم من كتب العلماء المحققين في زماننا هٰذا وما قبله.

ولم أراع في ذٰلك الترتيب أو ذكر الكلام بنصِّه، بل بتصرف واختصار وزيادة ونقصان، حتى لا يخفى؛ فما كان فيه من صواب؛ فمن فضل الله وتيسيره، وما كان فيه من خطأ؛ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله.

وجزى الله أهل العلم المحققين عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً، والله المستعان.

اعلم أن السفر إلى بلاد المشركين إذا كان من غير حاجة صحيحة أو ضرورة معتبرة؛ فإنه لا يجوز، سواء أظهر دينه أو لم يظهر دينه، وإذا ذهب إلى الكفار هناك، وجالسهم، وداهنهم، وساكنهم؛ فهو مثلهم.

أما إذا كان السفر إلى بلاد المشركين لأجل حاجة صحيحة؛ فقد أفتى العلماء المحققون بجواز ذٰلك، ولكن بشرط إظهار الدين، فإن أظهر دينه حقيقة

---

(١) ولله الحكمة البالغة في ذلك، ولٰكن العاقبة للمتقين.

كما سنبيِّنه إن شاء الله تعالى ؛ فيجوز له السفر حينئذٍ بشرطه[1]، وإن لم يظهر دينه على الحقيقة، وهٰذا هو الواقع ؛ فإنه لا يجوز له السفر، ولو كان لا يستغرق إلَّا مدةً يسيرة ؛ كما سيأتي .

وأما معنى إظهار الدين ؛ فهو كما قرَّره المحققون من أهل العلم بأنه : التصريح بعداوة أعداء الله تعالى، وإظهار بغضهم، والبراءة منهم ومما هم عليه، وأنهم ليسوا على حق بل على باطل، والتصريح بما اشتهر عندهم من الكفر أو الشرك ؛ فإن الكفر له أنواع وأقسام، وكل طائفة من طوائف الكفران اشتهر عندها نوع منه ؛ فلا يكون المسلم مظهراً دينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها من الكفر، ويصرح لها بعداوته والبراءة منه وممن فعله، فمن كان كفره بالشرك ؛ فإظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد والنهي عن الشرك والتحذير منه والبراءة منه ومن أهله . . . وهلمَّ جرّاً.

فهٰذا هو إظهار الدين حقيقة لا كما يزعمه من لا بصيرة عنده ممن يدَّعي العلم : أن إظهار الذين هو إظهار الصلاة ونحوها من الأركان الخمسة، وأن يكون كارهاً لما هم عليه بقلبه ؛ فهٰذا جهل وتلبيس :

أما كونه جهلاً ؛ فلمخالفته للقول الصحيح المعتمد الذي قرَّره العلماء المحققون .

وأما كونه تلبيساً ؛ فلأن أعداء الله قديماً وحديثاً ـ إلَّا ما ندر، ولا عبرة بالنادر ـ لا ينهون عن الصلاة في ديارهم وبين أظهرهم، ولا يجبرون أحداً على الدخول في دينهم، بل لا ينهون من دعا إلى الله تعالى وإلى التوحيد فقط بدون التصريح بالنهي عن ضدِّ ذٰلك ؛ كما هو الغالب على حال الدعاة في هٰذا

---

(١) كما سيأتي ؛ فتأمل.

الزمان؛ فالله المستعان[1].

بل إنَّ أعداء الله تعالى لا ينهون إلا من صرَّح بتكفيرهم والبراءة منهم ومن دينهم، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، وبيَّن أنهم ليسوا على حقٍّ بل على باطل؛ كما تقدم؛ فهناك ـ أجارك الله من العذاب ـ يشمِّرون له عن ساق العداوة والأذى، ويعلنون بحربه وقتاله؛ كما فعلت قريش ذلك برسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك يُفعلُ بجميع من قام بهذا الأمر حقيقة إلى يوم القيامة؛ فالله المستعان.

فإن ادَّعى أحد أنه يقدر على إظهار دينه كما ذكرنا حقيقة ـ مع أنه متعذر كما تقدم ـ؛ فيشترط أيضاً أن يأمن على دينه ونفسه، فإن لم يأمن؛ فلا يجوز له السفر، ولو أظهر دينه.

فيا عباد الله! اتقوا الله واخشوا عقوبته ونقمته في الدنيا قبل الآخرة؛ فقد قامت عليكم الحجة، ولا تظنوا أن الأمر سهل، وأن الأحكام لعب، كل يأخذ منها ويدع على حسب هواه وشهوته، والإسلام لا يكفي فيه التسمِّي بلا حقيقة، بل لا بدَّ فيه من العمل بما دلَّ عليه ظاهراً وباطناً.

وإذا كان المسلم يعلم من نفسه أن إيمانه ضعيف، وأنه لم يستطع جهاد نفسه على فعل كثير من الطاعات وترك كثير من المنكرات، والأمر المعروف والنهي عن المنكر على من تحت يده ومن حوله من أهلٍ وأولاد وجيران ونحوهم؛ فضلاً عن القيام بذلك عن أهل مدينته، فضلاً عن جميع بلاده؛ فإذا كان ذلك كذلك؛ فكيف يدَّعي القيام بذلك وإظهار الدين حقيقة بين أظهر المشركين؟!

فاللهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت

---

(١) أمَّا الدعاة المعروفون بجماعة التبليغ فقد بان جهلهم، وانكشف في أكثرهم الشرك وفساد الإعتقاد.

الوهَّاب، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

ثم إنه لا يخفى على من عنده مسكة من عقل وعنده أدنى بصيرة وعلم ومشاهدة: أن من أظهر دينه حقيقة بين أظهر المشركين والكافرين: أنه لا يسلم، بل إما أن يقتل أو يسجن ويعذب أشدَّ العذاب، أو أقل الأحوال أن يطرد عن بلادهم حقيراً ذليلاً مهاناً؛ كما فعل أهل مكة والطائف برسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه، وكما نعلم من أخبار الماضين والمتأخرين ممن يظهر دينه حقيقة في بلاد الكفَّار.

بل لو أظهر المسلم اليوم دينه حقيقة عند أهله وأقاربه وعشيرته وأهل بلده؛ لرأى ما يسوؤه وناله ما يكره.

هٰذا إذا كان عنده معرفة بدينه وعقيدته بالأدلَّة من الكتاب والسنة؛ لأن الجهل قد ساد في هٰذا الزمان على أكثر المنتسبين للعلم، فضلاً عن غيرهم، فأكثرهم لا يعرف حقيقة ما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، بل لا يعرف من الإسلام إلَّا اسمه، ولا من القرآن إلَّا رسمه.

فإذا عرفت ذٰلك؛ فكيف يستطيع المسلم أن يظهر دينه حقيقة بين أظهر المشركين والكافرين، هٰذا من أمحل المحال، فإذا تبيَّن هٰذا؛ فمنع السفر إلى بلاد المشركين والكفَّار، وتحريمه على من يذهب للحاجة الصحيحة من الحاجات الماسَّة منعاً باتّاً: هو الذي يجب أن يفتى به في هٰذا الزمان؛ لعدم القدرة على إظهار الدين حقيقة كما تقدم.

أما السفر إلى بلاد الكفَّار لأجل النزهة والفرجة أو المقاصد السيئة ـ كما هو الغالب على من يذهب هناك ـ؛ فتحريمه والمنع منه واضح جدّاً، لا يحتاج

إلى بيان[1]، ولا يخفى إلَّا على من أعمى الله قلبه.

وكذٰلك الذهاب إليهم بزعم التعلم أو الثقافة ونحو ذٰلك؛ فهؤلاء كلهم يخشىٰ عليهم من الكفر والردَّة والعياذ بالله؛ لأجل ما تقدم، ولما ينشأ من ذٰلك من المداهنة، والمودة للكفار، والاستئناس بهم، والانبساط إليهم، ومجالستهم، ومساكنتهم، وعدم الإنكار عليهم مع القدرة على مفارقتهم.. إلى غير ذٰلك مما يعلمه من سبر أحوالهم وشاهد بعين البصيرة أفعالهم.

وهٰذا على سبيل العموم، أمَّا على سبيل التفصيل؛ فكفر بعضهم لاشك فيه ولا ريب؛ كما لا يخفى على من رزقه الله علماً نافعاً وبصيرة.

وأما من يذهب إلى بلاد المشركين لأجل الضرورة المعتبرة شرعاً؛ فالضرورة لها أحكام؛ فهي تبيح الشيء المحرم بشرطه.

ولكن؛ أين الضرورة المعتبرة؟!

فإذا قدِّر أنها حصلت حقيقة؛ فيجوز حينئذٍ السفر لذٰلك.

فمثال الضرورة المعتبرة: إذا كان المسلم مريضاً، وعولج في بلاد المسلمين، ولكن لم يفد العلاج شيئاً، وقرَّر أهل الطب أن علاجه لا يوجد إلاّ في بلاد المشركين؛ فهنا يجوز له السفر والحالة هٰذه. فإذا وجدت حالة ضرورية كهٰذا المثال مما تكون فيه الضرورة معتبرة شرعاً؛ جاز ذٰلك، وإلَّا؛ فلا.

ولكن اليوم؛ من أراد فعل الحرام؛ ادَّعى الضرورة، ولو يعطى الناس بدعواهم؛ لادَّعى رجالٌ أموال قوم ودماءهم، ولكن المرجع إلى الكتاب والسنة، فإذا حكم الشرع بشيء أنه ضرورة؛ فكذٰلك، وعلى العين والرأس، وما لم يحكم به؛ فلا التفات إليه. والله المستعان.

---

(١) كما تقدم.

وأمـا من يذهب إلى بلاد المشركين لقصد الدعوة إلى الله وإلى دينه؛ فيشترط أن يكون أهلاً لذٰلك؛ بإجازة من العلماء المحققين، وأن يكون إيمانه قوياً؛ بحيث إنه يؤثر ولا يتأثر، وأن يظهر الدين حقيقة كما تقدم، وأن يأمن على نفسـه من البلاء وعلى دينه من الفتنة والابتلاء؛ فإذا حصل له ذٰلك كله على التمام؛ كان له ذٰلك[1].

ولكن قلَّما يوجد من يطبق الشروط المتقدمة.

ثم قد يكون مقامه في بلاده للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذٰلك من الحقوق اللازمة مقدماً على الدعوة إلى الله تعالى في بلاد المشركين.

ومن سبر الحال، وتأمل ما ذكرناه، وشاهد بعين البصر والبصيرة ما عمَّ وطمَّ من المنكرات والضلالات الظاهرة فضلاً عن الباطنة؛ تبيَّن له الأمر، والله الموفق.

ونشرع الآن بذكر بعض الأدلَّة من الكتاب والسنة على ما تقدم ونحوه مما له تعلق به على سبيل الاختصار لا البسط، ومن أراد البسط؛ فليراجع الكتب التي أشرنا إليها فيما سبق، ومن ابتغاها؛ وجدها.

● **الآيـة الأولى**: قولـه تعـالى: ﴿**إنَّ الَّـذينَ تَوَفَّـاهُمُ المَلائكَةُ ظالِمي أَنْفُسِهِم**﴾؛ أي: بسبب الإقـامة بين أظهر الكفَّار وهم قادرون على الهجرة. ﴿**قالوا فيمَ كُنْتُم**﴾؛ أي: لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة؟! وهٰذا استفهام إنكار وتـوبيخ وتقـريع. ﴿**قـالـوا كُنَّا مُسْتَضْعَفينَ في الأرْضِ**﴾؛ أي: عاجزين عن الهجرة، لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض. ﴿**قالوا أَلَمْ تَكُنْ أَرضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا فيها**﴾؛ يعني: إلى المدينة، فتخرجوا من بين أهل

---

(١) فنسأل الله الكريم أن يقيم علم الجهاد الذي ما زال قاعداً.

الشرك، ولم تعذرهم الملائكة. ﴿**فَأُولٰئكَ مأْواهُم جَهَنَّمُ وساءَتْ مَصيراً**﴾.

فدلت هٰذه الآية على أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه وهو قادر عليها مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

ثم استثنى الله المستضعفين؛ أي: العاجزين عن الهجرة؛ بقوله: ﴿**إلَّا المُسْتَضْعَفينَ مِنْ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلْدانِ لا يَسْتَطيعونَ حيلةً ولا يَهْتَدون سَبيلاً . فَأُولٰئكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُو عَنهُم وكانَ اللَّهُ عَفُوّاً غفوراً**﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

فأخبر الله تعالى أنه قد عفا عن هٰؤلاء المستضعفين؛ لأن (عسى) من الله واجبة؛ بسبب هٰذا العذر الصحيح، وهو أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا؛ ما عرفوا يسلكون الطريق؛ فهم غير مختارين للمقام، بل كما قال تعالى مبيناً حالهم ومقالهم: ﴿**وما لَكُم لا تُقاتِلونَ في سَبيلِ اللهِ والمُسْتَضْعَفينَ مِنْ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلْدانِ الذين يَقولونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هٰذهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها واجْعَل لنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً واجْعَل لنا مِنْ لَدُنْكَ نَصيراً**﴾ [النساء: ٧٥].

فدلَّت هٰذه الآية على أنهم مع كونهم غير قادرين على الخروج من بين أظهر الكفار، فهم غير مختارين للمقام بين أظهرهم، وذٰلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم، فدلَّ على حرصهم على الخروج، وأنه متعذر عليهم، ويدلُّ على ذٰلك وصفهم أهل القرية بالظلم، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم وليّاً يتولاهم ويتولَّونه، وأن يجعل لهم ناصراً ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم.

فمن كان هٰذا حاله ومقاله؛ ﴿**فَأُولٰئكَ عَسى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنهُم وكانَ اللهُ عَفُوّاً غَفوراً**﴾ [النساء: ٩٩].

فهٰؤلاء هم المستضعفون حقيقة، لا كما يدَّعيه من ينتسب إلى العلم مما لا ينطبق عليه ما تقدم؛ كمن لم يمنعه من ذٰلك إلَّا المشحَّة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو نحو ذٰلك، مع قدرته على الخروج؛ فإن الله لم يعذر من اعتذر بذٰلك، وسمَّاه ظالماً لنفسه؛ كما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في «تفسيره» عند ذكر الآية المتقدمة: «وهٰذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين؛ فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هٰذه الآية» اهـ.

فإذا كان هٰذا الوعيد الشديد في المسلم الذي مسكنه وأهله وماله وأولاده في ديار المشركين، فيقيم عندهم بدون إظهار الدين حقيقة، مع قدرته على الهجرة؛ فكيف بالمسلم الذي مسكنه وأهله وأولاده بين أظهر المسلمين، ثم يذهب طوعاً لا كرهاً واختياراً لا اضطراراً إلى بلاد المشركين، ويقيم بين أظهر الكافرين لأغراض تافهة، أو لمقاصد سيئة كما هو الغالب، أو لحاجة صحيحة ونحوها لكن بدون إظهار الدين المتقدم تعريفه؛ فإن إظهار الدين شرط، وهو متعذر حصوله كما سبق؟! فهٰذا أولى بالإثم والوعيد ممن نصَّت الآية المتقدمة عليه، بل إنه يخشى عليه من الكفر والردَّة والعياذ بالله.

هٰذا إذا لم يحصل منه موافقة للكفار ومداهنة لهم أو استئناس بهم ومدح لهم أو استحسان لما هم عليه ورضىً بذٰلك؛ فهٰذه الأمور كفر صريح، وردَّة، وخروج عن الإسلام بالكليَّة.

ولكن يُنتبه لما ذكرنا سابقاً: أن إطلاق الكفر ونحوه على المسلم ليس بالأمر الهيِّن إذا صدر منه بعض ما ذكرنا، بل لا بدَّ من قيام الحجَّة ومراجعة العلماء المحققين بعد بذل النصيحة والتخويف ممن صدر منه ذٰلك، هٰذا بعد

التثبت أيضاً، وراجع كلام العلماء المحققين في مسألة تكفير المعيَّن، خصوصاً أئمة الدعوة.

وإنما مرادنا فيما ذكرنا بيان حكم من فعل ذٰلك، وأن المسلم قد يقع فيه وهو لا يشعر، فيكون مع من يخلَّد في نار جهنم، أعاذنا الله والمسلمين من ذٰلك. فتأمل، والله الموفق.

● **الآية الثانية**: قوله تعالى: **﴿وقَدْ نَزَّلَ عَليكُم في الكِتابِ أَنْ إذا سَمِعْتُم آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها ويُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقعُدوا مَعَهُم حَتى يَخوضوا في حَديثٍ غَيرِهِ إنَّكُم إذاً مِثْلُهُم إنَّ اللهَ جامعُ الكافِرينَ والمنافِقينَ في جَهَنَّمَ جَميعاً﴾** [النساء: ١٤٠].

فدلَّت هٰذه الآية على أن من جلس مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وهو بين أظهر المسلمين؛ فإنه لا يجوز له الجلوس معهم والحالة هٰذه، بل إن كان يقدر على الإنكار عليهم بلسانه من غير حصول مفسدة وأذىً عليه؛ أنكر عليهم، فإن لم يستطع؛ فعليه أن ينكر عليهم بقلبه، وعلامة إنكار القلب مفارقة مكان المنكر وأهله؛ فإن لم يفارق ذٰلك المجلس مختاراً لا مكرهاً؛ فهو مثلهم في الإثم والكفر؛ لأن الراضي بالذنب كفاعله، والرضى بالكفر كفر، فإن ادَّعى أنه يكره ذٰلك بقلبه؛ لم يقبل منه؛ لأن الحكم بالظاهر، وهو قد أظهر الكفر بجلوسه معهم، فيكون كافراً.

فإذا كان ذٰلك كذٰلك؛ فكيف بمن يذهب إلى بلاد الكفار، ويقيم بين أظهرهم مختاراً لا مكرهاً والعياذ بالله، ويسمع كفرهم واستهزاءهم بالله وبدينه وبأهل الإسلام، ويرى ضلالهم ومنكراتهم، ولا ينكر عليهم، ولا يفارقهم؛ مع قدرته على الخروج عنهم، بل يرضى بمجالستهم ومؤاكلتهم ومشاربتهم؛ فهٰذا أشدُّ كفراً من الذي قبله، وأعظم جرماً منه. فالله المستعان.

والآيات بنحو ما تقدم كثيرة.

وأما السنة:

● **فالأول**: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «من جامع المشرك وسكن معه؛ فإنه مثله»، رواه أبو داود[1].

وهٰذا الحديث على ظاهره، وهو أن الذي يدَّعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم، بحيث يعدُّه المشركون منهم ويكثر سوادهم؛ فهو كافر مثلهم، وإن ادَّعى الإسلام، إلَّا إن أظهر دينه ولم يوالِ المشركين، ولكن هٰذا متعذر حصوله كما تقدم؛ فحينئذٍ لا بدَّ لمن أراد الإسلام من مفارقة المشركين، وعدم الذهاب إليهم بتاتاً، وعدم الإقامة بين أظهرهم.

واعلم أن الإقامة كالسفر، بل السفر أشد، وأيضاً لا فرق في ديار الكفار بين دار الحرب ودار الصلح؛ فكل بلدة لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها حقيقة؛ لا يجوز له السفر إليها، ولا الإقامة فيها، ولا يوماً واحداً؛ فلا فرق بين المدة البعيدة والقريبة في ديار المشركين والكفار إذا كان يقدر على الخروج منها؛ لأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين؛ فما كان ذريعةً وسبباً إلى إسقاط ذٰلك؛ لم يجز، وأيضا؛ فقد يجرُّه ذٰلك إلى موافقتهم أو إرضائهم، فيقع في الكفر والردَّة كما تقدم، وهٰذا هو الواقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فُسَّاق المسلمين، بل ممن ينتسب إلى العلم أو الصلاح ممن يذهب هناك، فيرجع وقد انتكس قلبه وانطمس، وعاد المعروف عنده منكراً والمنكر معروفاً، بل يرجع أكثرهم وقد انسلخوا من الدين بالكلية، وصاروا أعواناً للكفرة، وأقلُّ أحوال من يرجع منهم أن يدخله الشك والريب في دينه وعقيدته، وقد تقدم أن من نواقض الإسلام العشرة: كفر الشك

---

(١) وهو حديث حسن.

والعياذ بالله.

ثم اعلم هداك الله أن أهل العلم ذكروا في أنواع الهجرة أن منها هجرة البلدة التي تعلن فيها البدع، وأنه لا يحل لأحد أن يقيم ببلدٍ كهٰذه؛ مثال ذٰلك البلدة التي يُسبُّ فيها السلف ونحو ذٰلك، وذكروا من أنواع الهجرة الخروج من بلدة تعلن فيها المعاصي، أو يغلب عليها الحرام؛ لأن طلب الحلال فرض على كل مسلم، وهٰـذا إذا كان يجد بلداً سالماً من ذٰلك، أما إذا لم يجد أو وجد مثلها؛ فلا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها، وذكروا أشياء غير ذٰلك، حتى ذكر جمعٌ تحريم القدوم إلى بلدٍ تظهر فيه بعض عقائد المبتدعة. فالله المستعان.

وليس مرادنا توضيح ما تقدم من هٰذه الأنواع، أو ذكر ما يفعله المسلم عند ذٰلك، بل المراد أنه إذا كانت تلك الأنواع شديدة الخطر؛ فكيف بالنوع الذي نحن بصـدده، والبلد الـذي نتكلم عليه؟! وهو بلد الكفر الصريح أو الشرك الواضح، البلاد التي يعلن فيها بالكفريات والشركيات، ويلعن فيها حزب رب الأرض والسماوات.

فسبحان الله وتعالى عمَّا يشركون، فهل من مدَّكر؟! وهل من متيقظ؟! وهل من خائف؟! وهل من مقلع عمَّا يوقعه في المهالك والمتالف قبل هجوم هاذم اللذات؟! وبالله التوفيق.

● **الحديث الثاني**: ما ثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «لا يقبل الله من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين»، رواه النسائي وغيره[1].

ومعنى «أويفارق»؛ أي: حتَّى يفارق المشركين ويذهب إلى المسلمين.

---

(١) حديث حسن.

فهٰذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن من أسلم وهو مقيم في ديار المشركين؛ فإن الله لا يقبل منه عملاً حتى يفارقهم ويذهب إلى المسلمين؛ فإذا كان هٰذا فيمن هو ساكن بين أظهر المشركين وأهله وماله في ديارهم؛ فكيف بمن هو مقيم بين أظهر المسلمين، ثم يذهب إلى بلاد المشركين ويقيم بين أظهرهم؟! لا شك أنه أولى بهٰذا الوعيد ممن قبله؛ فيا مقلِّب القلوب! ثبِّت قلوبنا على دينك.

● **الحديث الثالث**: ما رواه أبو داود وغيره عن النبي ﷺ: أنه قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». قالوا: يا رسول الله! لم؟ قال: «لا ترائى ناراهما»(1).

فهٰذا الوعيد الشديد في المسلم الذي هو مقيم بين أظهر المشركين؛ فكيف بالمسلم الذي هو مقيم بين أظهر المسلمين، ثم يذهب ويقيم بين أظهر الكفار والمشركين؟!

والأحاديث في هٰذا المعنى كثيرة، ولكن نشكوا إلى الله تعالى موت القلوب، واتِّباع الهوى، وغربة الدين، وتغير أحوال المسلمين؛ فهم يسمعون هٰذه النصوص الصريحة الواضحة المخيفة، ثم يذهبون إلى ديار المشركين، ويقيمون بين أظهر الكافرين، ويجالسونهم، ويؤاكلونهم، ويضاحكونهم؛ فلا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

فأين ملَّة إبراهيم؟! وأين دين الإسلام المستقيم؟!

ولكن الكلام في الحقيقة إنما يقال لمن كان في قلبه خوف وإيمان، ويقين بالجنات والنيران، ولمن يخشى من الردَّة والخروج من الإسلام والإيمان،

---

(1) حديث حسن.

ولمن يعلم أن مجالسة أهل البدع ونحوهم من فساق المسلمين قد تكون سبباً في زيغ القلوب والدخول في دائرة الكفر والضلال؛ فكيف إذاً بمجالسة الكفَّار والمشركين؟! نسأل الله العافية من ذٰلك كلِّه لنا وللمسلمين.

فأما من لم يكن في قلبه شيء من ذٰلك، ولم يخف الوقوع في المهالك، ولم ينتبه لما خلق له وما أريد منه؛ فهٰذا لا كلام معه، ولا حيلة فيه.

فعلى المسلم العاقل أن يستفيق من غفلته، ويتدارك بقية عمره، قبل أن يأتيه الأجل؛ فلا ينفعه حينئذٍ الندم، ولا ينظر إلى من هلك كيف هلك وإن كثروا، ولكن ينظر إلى من نجى كيف نجى وإن قلُّوا. والله الموفق.

هٰذا؛ ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم: أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يجعلنا والمسلمين من أنصار دينه وشرعه، ونسأله بمنِّه وفضله أن يردَّ ضال المسلمين إلى صراطه المستقيم، كما نسأله تعالى أن يثبتنا والمسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونسأله تعالى أن يصلح ولاة أمور المسلمين، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، وأن يعافي من ابتلي من المسلمين بالذهاب إلى بلاد المشركين، وأن لا يبتلينا بما ابتلاهم به وجميع المسلمين؛ إنه تعالى على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

●●●●●



فهرس

